مجلة البيان – العدد 27 ، رمضان 1410 هـ / أبريل 1990م

الافتتاحية

بل ظاهرة أصيلة عامة

من الأفكار التي يحاول أعداء الإسلام إشـاعـتـهـا بالإلحاح بتردادها أن عودة المسلمين إلى التمسك بدينهم ووضعه في الاعتبار ليست ظاهرة أصـيـلــة عامة ، وإنما هي ظـاهرة جزئية يقوم بها شباب يائس يعيش تحت ضغط ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة ، وأغلـقت في وجهه كل الأبواب ، فلجأ إلى الإسلام كنوع من الهروب مـن مشاكله ، وصنع لنفسه جـواً يشعر فيه بالأمان والاطمئنان!

وقد جعلوا من عودة الشباب المسلم إلى الاعتزاز بعقيدته وإحلالها المحل الأول مـن حياته نوعاً من أحلام اليقظة التي لا تعدو - عند الإغراق فيها - أن تكون مرضاً نفسياً يحتاج إلى علاج !!.

وهذه النظرة القاصرة المغرضة نابعة ابتداء إما من التحامـل على الإسلام كدين ، والكراهية العميقة له؟ وإما من الآثار الفكرية للمبشرين والمتربين في معاهدهم ودهاليزهم. أي أنها تعود إلى سببين رئيسيين :

أ- كره للأديان عموماً والإسلام خصوصاً.

ب- جهل عميق بالإسلام؛ كيف ينتشر وكيف ينحسر.

إن هذه التحليلات المغرضة التي تمتلئ بها الصحف والمجلات أجنبية وعربية عن أسباب رجوع الإنسان إلي عقيدته تبدو مضحكة في كثير من الأحيان كما تبدو سمجة وثقيلة ، وما أشبهها بكلام كثير من الـمـستشرقين عن الإسلام وأحكامه ، وعن شخصية الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- ، بل إن هذه التحليلات امتداد لذلك الفكر الذي أرساه المستشرقون ، وعمل على ترسيخه أولياؤهم في عالمنا الإسلامي.

ونحن نقول : إنه على الرغم من غثاثة هذا الفكر وسطحيته فإنه يجد مـن يسمعه ويتعلق به ويعجب به من بيننا. ويساعد على ذلك أن هناك تقـصـيـراً سـبـبـه تقــاعس أهل الفكر الصحيح ، وأجواء فكرية تحدث من تكاسل هؤلاء؛ وجرأة أهل الباطل التي تحتضن الغث وتروجه ، وتقصي النافع وتشوهه.. لكن الذي يفوت هذه التحليلات هو طـبـيـعــة الإسلام كعقيدة ، وطبيعته في التفاعل مع الحياة ، ويظنون أن العقيدة الإسلامية إذا كانت في حالة ضمور فهي في طريقها إلى الموت دائماً. نعم ، قد يوجد من تضمر عقيدته ، ثم تموت، ولكن هـؤلاء نسـبتهم قليلة ، وبما أن الساحة ليست لهؤلاء فقط ، حتى لو حُوْول إخلاؤها لهـم بكل السبل ، فإن من طبيعة البشر عامة أن تستخدم الاستقراء والاستنتاج كعمليات منطقية بسيطة ، فتدرس الظواهر هنا وهناك ،

وتستنتج منها نتائج تعمل بمقتضاها. والمسلم إنسان قبل كل شيء، لو نظر حوله لوجد عشرات ومئات الظواهر والدلائل التي تلفته إلى دينــه لفتاً ، وتجعله يقتنع أنه لا يتلاعب به المتلاعبون ولا تجوز عليه الدعاوى والخدع إلا إذا كان رقيق الدين ضحل العقيدة. هذا على المستوى الفردي.
أما على المستوى الجماعي - سمه القومي أو الوطني إن شئت- فإنه كما يستعبد فرد فرداً، ويهضم قوي حق ضعيف؛ فإن أمماً تأكل أخرى ، وتــذوب حـضـارات وتندثر وتبنى على أطلالها حضارات ، ولا يودي بالأمة سوى ضعف العقيدة ، وانحلال الروابط الدينية التي تجمع أفرادها ومؤسساتها ، وعندما تنهزم الأمة نفسياً ، فتتخلى عن قيمها ومفاهيمها ، وتجلب قيم ومفاهيم القوي تطبقها راضية مختارة بلا تمحيص وبـــلا خـجـل ؛ فهذا هو الانهيار والاندثار والذوبان بعينه. وقد ينخدع بعض الناس فتنعكس عندهم السنة الكونية التي تقول:
"حيث يكون الحق تكون القوة" فتصبح في نظرهم : "حيث تكون القوة يكون الحق" وهذا هو طريق الشيطان كما قال تعالى :((الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ويَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ واللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وفَضْلاً واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ)) [البقرة: 268] وهكذا فإن من طبيعة المسلم أنه يمكن أن يؤوب إلى الحق ، وإلا لما كان هناك من التوبة ، ويمكن أن يراجع نفسه فيصدقها وتصدقه ، والله يحوطه ويرعاه سواء كان مهتدياً أو ضالاً ، وهو رحيم بعباده يصرِّف عليهم العبر والحوادث ، ويمتحنهم بالمصائب والرغائب ((إنَّ الَذِينَ اتَّقَوْا إذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإذَا هُم مٌّبْصِرُونَ))[الأعراف:201] "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم" (جزء من حديث أبي ذر المشهور الذي رواه مسلم).
وكما يتوب المسلم عن الفواحش كالزنا ، وشرب الخمر ، والاستهتار بالمحرمات كذلك يتوب عن إهمال أمر الدين وعدم إحلاله المحل الأول في حياته وعن التغني بالشعارات والبدع التي تستورد من أعداء الله شرقاً وغرباً ، ويتوب عن تجزئة الإسلام أجزاء؛ فهذا يرفضه ، وهذا يقبله ، وهذا ضروري؛ وهذا هامشي! وعن قياس الإسلام على سائر النحل والأديان الأخرى ، واعتبار حاله بأحوالها ، وعن تضييق المفهوم الرباني للإسلام وتقليصه إلى أن يقتصر على هذه الحركات التي تمارس في المسجد ، وإلى هذه التراتيل التي تسمع عند موت شخص ، ولا شيء بعد ذلك.
وباختصار ، فكما تكون التوبة من الموبقات الخلقية والسلوكية وارتكاب الفواحش ، والتهاون بأركان الإسلام؛ تكون أيضاً من الموبقات والفواحش الفكرية والعقيدية الشائعة. وإذا شئنا أن نناقش تحليلات هؤلاء الجهلة بظواهر الأمور - فضلاً عن جهلهم بنوايا المسلمين الذين يرجعون إلى دينهم زرافات ووحداناً - فإن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي يذكرونها لا تكفي وحدها

لتفسير ذلك ، وهذا تكذيب للواقع ، وإساءة إلى هذه الجموع العريضة من الشباب المسلم الذي يجتهد في إثبات عقيدته والتمسك بهدي ملته ، وتشكيك بتوجه هؤلاء؛ فلو كان العامل الاقتصادي هو الدافع فما بالنا بهؤلاء الذين اختاروا هذا الطريق على الرغم من البحبوحة التي يعيشون فيها؟ ماذا يدفعهم إلى هذا ؟ أهو طمع في الزيادة؟!
ثم ما بال هذه الجماهير التي ذاقت بسبب تمسكها بعقيدتها كل أنواع المحن من قتل وسجن وتضييق وتشريد.. ومع هذا لم ترض الدنية في دينها ، ولم تفتنها التهديدات ولا الإغراءات عن التخلي عما تؤمن به؟!.
إن طرق المغريات المادية والمعنوية لم تزل مفتوحة أمام طلاب الدنيا ، وما على الإنسان الذي يريد المطامع الدنيوية إلا أن يشير ولو إشارة إلى امتعاضه من المظاهر الإسلامية ، ويتهجم على هذا التيار من الفهم والتفكير الذي يحس ويلمس بين الجماهير المسلمة؛ حتى يُحْتَضَن وترفع درجته لينصب إما أديباً عبقرياً ، أو مفكراً مستنيراً جريئاً ، وبعد أن يكون نكرة فقيراً مطوياً في براثن الإهمال والضعة؛ يصبح معرفة غنياً طافياً على سطح المجتمع.
إن تفسير رجوع الناس إلى دينها هذا التفسير الفج مثل تفسير كارل ماركس للتاريخ ، وبقدر تهافت الماركسية وانهيارها؛ستنهار هذه التفسيرات والتحليلات إن شاء الله. وهذا التفسير والتفسير المادي للتاريخ هو نفسه تفسير المستشرقين والمستغربين للفتوح الإسلامية بأنها فتوحات وهجرات اقتصادية خرج فيها العرب من جزيرتهم تحت ضغط الحاجة ، وانساحوا في البلاد للنهب والسلب لتحسين وضعهم الاقتصادي! وهكذا تجرد هذه الموجات الكاسحة من الشباب المسلم من أي دافع مشروع ، ومن أي هدف نبيل ، وتشوه صورتها لتبدو موجات مسعورة ، تنشر الفوضى والتخريب ، ليكون ذلك مسوغاً لضربها أو علاجها بكافة الطرق ، تجرد هذه الجماهير من الأحفاد كما جردت أجدادها من الغايات السامية ، والأهداف العظيمة ، وتصاغرت تضحياتهم ودماؤهم المسفوحة في كل ربوة ، وفوق كل ثرى لتكون من أجل البحث عن لقمة الخبز فقط ، أما سبيل الله ، والجنة ، وجزاء الصابرين ، وغسل العار ، والعزة الإيمانية ، وحرب الظلم والطغيان ، والرباط ، والشهادة ، ومن هو في سبيل الله ، ومن هو في سبيل الشيطان. كل ذلك لا قيمة له ولا وجود له في نظر علماء الاجتماع الذين يبحثون في الظواهر الإسلامية وهم يعيشون خارجها.
ولكن أنى لإنسان أن يصف لك ألمك كما تشعر به حتى ولو كان طبيباً ألمعياً؟

تشتكى ما اشتكيتُ من ألم الشو ق إليها والشوقُ حيث النحول
وإذا خامَرَ الهوى قلبَ صب فعليه لكل عين دليل

الدين والدنيا

محمد العبدة

وترى الدنيا انطوت في كسبه
ليس فيها ذرة في قلبه
(إقبال)

كيف اختل التوازن ؟!

لا شك عندنا أن الصحابة رضوان الله عليهم هم القدوة وهم النموذج في فهم الإسلام، وأقوالهم وأفعالهم هي التي تدل على هذا الفهم ، وبالرجوع إلى سيرتهم نجد أن حياتهم كانت طبيعية ليس فيها تكلف وتعمق ، يأخذون بالأسباب في الكسب من تجارة وزراعة أو عمل يدوي ، ويخصصون جزءاً من أوقاتهم للعلم ، وإذا دعا داعي الجهاد فهم الرجال، وفيهم الأغنياء دون بطر، والفقراء مع التعفف، كانوا أبعد الناس عن التهالك على الدنيا، فتحوا البلدان وأنشئوا المدن ، وأقاموا الدول.

الخلل إذن جاء بعدهم ، جاء من يقول : إن الدنيا ضرة الآخرة وليست طريقاً لها ، وأشاع الزهد بمعنى ترك الدنيا وعدم الاهتمام بها ، ويمكن أن نعدد بعض الظواهر التي أدت إلى هذا الخلل :

1- الزهد الأعجمي :

نقل الصوفية إلى المجتمع الإسلامي ، فلسفات الهند في تعذيب الجسد وحب (الفقر) كما نقلوا رهبانية النصارى ، وروجوا هذه البضاعة باسم الزهد المشروع ، وحاولوا تأييد هذه (الرهبنة) بذكر ما كان عليه الجيل الأول من السمو حيث لم تكن الدنيا في قلوبهم وراحوا يذمون الدنيا بمناسبة وبغير مناسبة، وساعدهم على ذلك القصاص الجهلة ، الذين وجدوا الكلام في هذا الموضوع من الأشياء المحببة لدى الجماهير ، وهكذا أصبحت مرتبة الزاهد الذي لا يتكسب ويعيش في زاوية أو رباط هي أعلى المراتب، وسمع المسلمون وأعجبوا بمن يقول: "لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالاً ولا أحاسب بها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر الرجل الجيفة"(1).

ووضع هؤلاء الصوفية كلام الله سبحانه وتعالى عن الدنيا أو كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- في غير موضعه ، ولم يفهموه حق الفهم ، وقد أدبنا الله سبحانه وتعالى في القرآن بأن نذكر القضية ونقيضها حتى يتم التوازن ، فلا يذكر عذاب النار إلا ويذكر نعيم الجنة ، ولا يذكر الفجار إلا ويذكر الأبرار ، فعندما نذم الدنيا يجب أن نبين على أي شيء يقع الذم.

يقول الشيخ رشيد رضا:"ومن أضر ما حدث بعد الخلفاء الراشدين الغلو في التزهيد، وحمل الناس على الاعتقاد بأن الدنيا ضرة الآخرة على الإطلاق،ومن أكبر المصائب أن هذا التعليم كان ديدن الخطباء والوعاظ، فزرع أهله في

قلوب الأمة الإسلامية فسيل الكسل، وما التكايا التي أحدثها المسلمون إلا كالأديار عند النصارى" (2). "والذين لبسوا لبوس الصالحين نفثوا في الأمة سموم المبالغة في التزهيد، وأكثرهم يريد إنفاق كسب الكاسبين عليهم وهم كسالى لزعمهم أنهم بحب الله مشغولون" (3).
هؤلاء البطالون الذين لا يريدون الكد والتعب، ويتخوفون الصراع مع الأعداء ، يلجئون إلى حيلة الزهد والانزواء وكيف يكون إذن التمكين في الأرض والحكم بشريعة الإسلام ، وهذا كله يختلف عن الاغترار بالدنيا والانغماس في شهواتها.

2- الخلل في فهم طبيعة الإنسان :

قد يظن بعض الناس أن الأمور الدنيوية أو اللذات الحسية هي نقص في الإنسان بتأثير من الفلاسفة الذين يفكرون تفكيراً خيالياً ، ورهبان النصارى الذين يستقذرون الأمور الحسية وهذا غير صحيح ، بل هي بوجه من الوجوه كمال إذا لم تطغِ، وإذا لم تصرفه عن الآخرة "والدليل على أن اللذات الجسدية ليست نقصاً: أن عالم الآخرة لا يخلو منها ، فهو عالم يكون الإنسان بهخ في أعلى أوج الكمال ، فيستوفي جميع اللذات الروحية والجسدية من غير عناء ولا شقاء ولا جهاد ولا بلاء" (4) ومن هذا الباب يشنع النصارى على نبينا عليه الصلاة والسلام كثرة الزواج، ويحاول بعض المسلمين الرد عليهم بأساليب تبريرية، فالأكل والشرب والزواج ليست عيباً في الإنسان ، لأن طبيعته ليست من جنس الملائكة.

3- أسباب نفسية:

عندما يفشل بعض الناس في الحياة ولا يستطيعون إعمار الدنيا بالخير والتمكن فيها ، واستخلاصها من أيدي الكفار ، عندنا يلجئون إلى حيلة نفسية وهي التركيز على الزهد، وإقناع النفس أن نعيم الدنيا زائل، والكفار لهم الدنيا ونحن لنا الآخرة، وربما في دخائلهم يحبون الدنيا حباً جماً ، لقد انتشر التصوف وازداد بعد ضعف الدولة الإسلامية أو فشلها في الوقوف أمام زحف التتار، فكثرت الزوايا والربط والهروب السلبي من متطلبات الكفاح.

عودة إلى المفهوم الإسلامي :

1 - إن ما جاء عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- من ذكر للدنيا لا يفهم منه إلا التحذير أن يتنافسها المسلمون فتهلكهم، وإلا أنها لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- اشتغل بها، فقد دعا وجاهد وأسس دولة الإسلام، وكان بعض كبار الصحابة من الأغنياء، ولم يدعهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى ترك المال وترك الاشتغال بالتجارة.
وكذلك ذم الدنيا الوارد على لسان بعض العلماء "إنما هو راجع إلى أفعال بني آدم التي تقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته" (5).
2-ربما يتكالب الناس على الدنيا في زمن معين أو في بلد معين ، فيأتي عالم رباني ويتكلم عن الدنيا وموقعها بالنسبة للآخرة وذلك فيما يرد الناس إلى

التوسط والتوازن،فهذا صحيح وهذا يختلف عن الذي يجعل الفقر هو الأصل ، ويذم الدنيا دائماً.
ذكر الخلال في كتابه (الحث على التجارة) حديثاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان أبو بكر رضي الله عنه أتجر قريش حتى دخل في الإمارة" ثم أتى برواية عـن أبـي الـدرداء رضي الله عـنـه أنـه لـم يستطـع الجـمـع بين التجارة والعبادة ، وقد علق محقق الكتاب أن الخلال ساق أثر أبي الدرداء ليـبــيـن أنه حالة خاصة بمن لديه سعة من المال لينفق على العيال ثم ساق كلام الذهب (الأفضل الجمع بين الأمرين).
3 - الإسلام يحث على العمل والكسب: قال سفيان بن عيينة : "ليس من حب الدنيا أن تطلب منها ما يصلحك" وعن الإمام أحمد بن حنبل "أحب الدراهم إلي درهم من تجارة ، وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان" (6).
وعن سعيد بن المسيب : " لا خير فيمن لا يطلب المال يقضي به دينه، ويصون به عرضه، ويقضي به ذمامه ، وإن مات تركه ميراثاً لمن بعده"(7).
وقد جاء في القرآن عن داود عليه السلام :((وعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ)) [الأنبياء:80] ، وصح عن زكريا عليه السلام أنه كان نجاراً، وأما ما اشتهر بعدئذ من احتقار للمهن، فهذا شـيء أتي بـه الـمـسلمون من قبل الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا يعظمون العمل الـعـقـلـي ويحتقرون المهن، ويرتبون المجتمع طبقات حسب أهوائهم ، إن كتب بعض العلماء توحي بالاحتقار للمهن كقول الإمام الماوردي : "وأشرف الصناعات صناعة الفكر وأرذلها صناعة العمل" (8) وهذا قد يكون من أسباب تخلف المسلمين فى الصناعة في الوقت الذي تقدم فيه الأوربيون واستعمروا العالم.
4 -إن الاستمتاع بالدنيا وملاذها والترفه فيها وإن كان بالحلال ، ولكنه يوشك أن يؤدي بالمؤمن إلى حبها والتعلق بها، فالمؤمن يبقى على حـذر مـنـهـا ويـبـتـعـد عن مواطن الزلل والشبهات ، ويعود نفسه على العيش الخشن حتى يكون على اسـتـعـداد للجهاد في أي وقت ، وهذا لا يمنع من لبس الثوب الحسن والنعل الحسن كما سأل أحد الصحابةرسول الله-صلى الله عليه وسلم-عن التجمل بهذا وحبه للنظافة في مسكنه وثوبه فقال الرسول -صلى الله عليه وسلـم-: "إن الله جميل يحب الجمال" وهذا لا ينقـص درجـته عن الذي يـفـضـل الخـشـونـة فـي مأكله أو ملبسه. وأما الآية((أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الـدُّنْـيَـا واسْتَمْتَعْتُم بِهَا))[الأحقاف:20] قال الشيخ الشنقيطي في تفسيرها: "التحقيق إن شاء الله في مثل هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله لهم لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم" (9).
وقال سعيد بن جبير: متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة ، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ، ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

والخلاصة أنه لا بد من التوازن الدقيق في هذه المسألة ، فلا تكن الدنيا أكبر همنا ، وفي نفس الوقت لا نغتر بترهات الصوفية وتخبطات القصاص الوعاظ ، ونحن لا نريد تضخيم دور المال ولكن واقع البشرية اليوم يقول إن للاقتصاد دور بالغ ، ونعم المال الصالح للعبد الصالح ، وكيف تقوى الـدعـوة الإسـلامـيـة دون أخذ الأسباب ، وكيف نريد من شعوب تعيش على فتات موائد الغرب أن تنهض وتساعد في إقامة حكم الله في الأرض.

ولهذا قلنا: إنها معادلة صعبة .

الهوامش:

1 - شرح حديث الزهد لابن رجب / 75.
2 - المنار : 33 / 175.
3 - المنار : 4/383.
4 -- المنار3/100.
5 - شرح حديث الزهد لابن رجب / 47.
6 - أبو بكر الخلال: الحث على التجارة والصناعة /35 ، تحقيق محمود بن محمد الحداد.
7 - المصدر السابق/80.
8 - أدب الدنيا والدين ، تحقيق د. محمد صباح/243.
9 - أضواء البيان 7/393.

فتاوى في الصيام

أعدها وجمعها: محمد صالح المنجد

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعـيـن، وبعد:

فـهذه طائفة من أحكام الصيام، مجموعة من كلام أهل العلم،من المتقدمين والـمـتـأخـريـن، بطريقـة السؤال والجواب.

س : ما هو فضل الصيام؟

ج : في ذلك آيات وأحاديث كثيرة ، منها قوله تعالى:((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)) قال أهل التفسير: هم الصائمون.

وقال -صلى الله عليه وسلم- : »إن في الجنة باباً يقال له الريان : يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون؟ ، فيقومون فيدخلون مـنـــه، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد« (وفي رواية: من دخل شرب ، ومن شرب لم يـظـمـــأ أبداً) [صحيح الجامع الصغير ، رقم 2121 ، وانظر صحيح الترغيب 1/410].

وفي الصحيحين ، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:» قال الله عز وجل ، كل عـمــل ابن آدم لـه (وفي مسلم : يضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف) إلا الصوم ، فإنه لي وأنـا أجزي به ، والصيام جنة« (وفي رواية صحيحة: يستجن به العبد من النار).
وفـي حديث يحيى بن زكريا: »وأمركم بالصيام ، ومثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة ، كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك« [صحيح الجامع الصغير رقم (1720)].

س : ما حكم من صام رمضان استشفاء من مرض أو تخفيفاً للوزن؟

ج : إن اقـتـصـرت نـيـته على هذا فليس له في الآخرة من نصيب ، قال تعالى: ((مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ، ومَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً))[الإسراء/18-19].
ويجب أن تكون نية المؤمن مطابقة لحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:»من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه« [صحيح الترغيب 1/415] وينبغي على الدعاة أن يبينوا للناس معنى كلمة (احتساباً) ويدعوا ذكر الفوائد الدنيوية للمؤلفة قلوبهم.

س : كيف يحكم بدخول شهر رمضان؟..

ج : بأحد أمرين :
- الأول : رؤية هلاله ، لقوله تعالى:((فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)) فإذا أعلن ثبوته مصدر موثوق وجب العمل بذلك.
- الثاني : إكمال شعبان ثلاثين يوماً،ولا مانع من توالي شهرين أو أكثر في السنة الهجرية كل منها 29 يوماً أو 30 يوماً.

س : إذا أسلم الكافر،أو بلغ الصبي،أو شفي المريض، أو أقام المسافر،أو طهرت الحائض، أثناء النهار في رمضان فماذا يجب عليهم من جهة الإمساك والقضاء؟

ج : إذا أسلم الكافر ، أو بلغ الصغير، أثناء النهار لزمهما إمساك بقية اليوم وليس عليهما قضاؤه، ولا قـضـاء الأيـام الـتـي قـبـلـه من الشهر، لأنـهما لم يكونا من أهل الوجوب عند الإمساك.
- وإذا شفي المريض ، أو أقام المسافر ، أو طهرت الحائض ، فالأحوط الإمساك بقية اليوم (للخلاف في المسألة) وعليهم قضاء هذا اليوم ، وما فاتهم قبله. والفرق بين القسمين: أن القسم الأول تحقق لديهم الشرط أما القسم الثاني فقد زال عنهم المانع.

س : متى يؤمر الصبي بالصيام؟

ج : قال الخرقي : وإذا كان الغلام عشر سنين ، وأطاق الصيام أخذ به.

قال ابن قدامة: واعتباره بالعشر أولى ، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بالضرب على الصلاة عندها ، واعتبار الصوم بالصلاة أحسن لقرب إحداهما من الأخرى ، واجتماعهما في أنهما عبادتان بدنيتان من أركان الإسلام ، إلا أن الصوم أشق فاعتبرت له الطاقة ، لأنه قد يطيق الصلاة من لا يطيقه.[المغني مع الشرح 3/90] .
فما بالك أيها الأخ المسلم بمن يمنع أولاده من الصيام رحمة بهم بزعمه!!
س : رجل بلغ من الكبر عتياً ، وأصبح لا يعرف أولاده ، ولا الجهات الأصلية ، فماذا عليه في الصوم؟.
ج : إذا كان الواقع ما ذكر ، فليس عليه صلاة ولا صيام ولا إطعام. وإذا كان يعود إليه عقله أحياناً ، ويذهب أحياناً ، فإذا عاد إليه صام ، وإذا ذهب عنه سقط عنه الصيام.
س : ما حكم الصيام للمريض؟
ج : إذا ثبت بالطب أن الصوم يسبب هلاك المريض فلا يجوز له الصيام ، أما إن ثبت أن الصوم يجلب المرض له أو يضر بالمريض بزيادة مرضه أو تأخير شفائه أو يؤلمه أو يشق عليه الصيام ، فالمتسحب له أن يفطر ثم يقضي.
س : شخص مصاب بقرحة في معدته ، ونهاه الطبيب عن الصيام مدة خمس سنوات. فما الحكم؟
ج : إذا كان الطبيب الذي نهاه عن الصوم ثقة مأموناً خبيراً في طبه ، فيتعين السمع والطاعة لنصحه ، وذلك بإفطاره في رمضان حتى يجد القدرة والاستطاعة على الصوم ، لقوله تعالى:((فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)) فإذا شفي من مرضه ، تعين عليه صوم أشهر رمضان التي أفطرها.
س : ما حكم العاجز عن الصيام عجزاً كلياً لمرض لا يرجى شفاؤه أو لكبر سنه؟
ج : عليه أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، نصف صاع من قوت البلد ، (مثال : قرابة1.5 كغ من الأرز) يدفعها في أول الشهر كما فعل أنس رضي الله عنه ، ويجوز أثناءه أو في آخره.
س : رجل مريض أخبره الأطباء أن شفاءه ممكن ، فهل يجزئه الإطعام؟
ج : لا يجزئه الإطعام ، ويجب عليه الانتظار حتى يشفى ثم يقضى.
س : رجل مريض ينتظر الشفاء ليصوم ، فمات ، فماذا عليه؟.
ج : ليس عليه شيء لأن الصيام حق لله تبارك وتعالى ، وجب بالشرع ومات من يجب عليه قبل إمكان فعله فسقط إلى غير بدل كالحج.
س: شخص صام جزءاً من رمضان ثم عجز عن إكمال الباقي ، فماذا يعمل؟
ج : إن كان عجزه لأمر طارئ يزول ، انتظر حتى يزول ثم يقضى ، وإن كان عجزه لأمر دائم ، فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً كما تقدم.

س : ما حكم الصوم للمسافر؟
ج : إذا شق عليه الصوم في السفر فالأفضل أن يأخذ بالرخصة فيفطر. وإن لم
يشق عليه صام والفطر جائز.
س : متى يفطر الصائم؟
ج : في ذلك حديثان :
- الأول : حديث أنس رضي الله عنه أنه أفطر على دابته قبل أن يخرج وقد تهيأ للرحيل.
- الثاني : حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين ، قال : خرج رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حتى بلغ عسفان ، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليراه الناس ثم أفطر. فالأحوط أن لا يفطر المسافر إلا إذا خرج من بلدته وفارق البيوت.
س : رجل قرر في إحدى الليالي من رمضان أن يسافر غداً في النهار ، فهل يجوز له أن يبيت نية الإفطار؟
ج : لا يجوز له ذلك ، بل ينوي الصيام ، لأنه لا يدري ما يعرض له ، فقد لا يستطيع السفر ، فإذا سافر أفطر إن شاء كما تقدم.
س : رجل أراد مواقعة أهله في رمضان ، فسافر من أجل ذلك؟
ج: فعله حرام ، لأنه قصد التحايل ، وهو آثم ولا يجوز له الفطر ((يُخَادِعُونَ اللَّهَ وهُوَ خَادِعُهُمْ)).
س : هل يجوز الإفطار في المطار؟
ج : إن كان المطار داخل البلد أو في حدودها فإنه ينتظر حتى تقلع الطائرة وتبتعد ، ثم يفطر ، وإن كان المطار خارج البلد ، جاز له الفطر في المطار.
س : غربت الشمس في المطار فأفطرنا بعد الصيام ، فلما أقلعت الطائرة وارتفعت رأينا الشمس مرة أخرى ، فما حكم الصيام؟
ج : الصيام صحيح ، لأنه عليه الصلاة والسلام قال :»إذا أقبل الليل من هاهنا ، وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم« [متفق عليه].
س : من صام في بلد ، ثم سافر إلى بلد آخر ، صام أهله قبله أو بعده ، فماذا يفعل؟
ج : يفطر بإفطار أهل البلد الذين ذهب إليهم ، ولو زاد على ثلاثين يوماً (بالنسبة له) لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- :»الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون« [رواه الترمذي وهو حديث صحيح]. لكن إن لم يكمل تسعة وعشرين فعليه إكمال ذلك الشهر (بعد يوم العيد) ، لأن الشهر لا ينقص عن تسعة وعشرين يوماً.
س : صامت امرأة ، وقبل الغروب بلحظات خرج منها الدم ، فما حكم صيامها؟

ج : إن خرج فعلاً ، فقد بطل الصوم وهي مأجورة ، وتقضي بدلاً منه ، أما إن أحسَّت به داخل الجسم ولم يخرج ، أو خرج بعد الغروب ، فصيامها صحيح.

س : امرأة طهرت قبل الفجر في رمضان ، ولم تغتسل إلا بعد الفجر ، وكذلك رجل أصبح جنباً ولم يغتسل إلا بعد الفجر ، فما حكم صيامهما؟

ج : صيام المرأة المذكورة صحيح ، وكذلك صيام الجنب ، لحديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه : »كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدركه الفجر وهو جنب من أهله ، ثم يغتسل ويصوم «. وكذلك النفساء مثل الحائض في الحكم إذا طهرت قبل الفجر. ولكن يجب التعجيل بالاغتسال لإدراك صلاة الفجر.

س : هل يجوز للمرأة استعمال حبوب لمنع الحيض في رمضان؟

ج : يجوز أن تستعمل المرأة أدوية لمنع الحيض في رمضان إذا قرر أهل الخبرة الأمناء من الأطباء ومن في حكمهم أن ذلك لا يضرها. وخير لها أن تكف عن ذلك ، وقد جعل الله لها رخصة في الفطر ، إذا جاءها الحيض في رمضان وشرع لها قضاء الأيام التي أفطرتها ورضي لها بذلك ديناً.

س : شخص لم يدر أن رمضان قد دخل ، إلا في صباح اليوم التالي ، فماذا يعمل؟

ج : يمسك ذلك اليوم ، ويقضي يوماً بدلاً منه ، لقوله -صلى الله عليه وسلم- :» لا صيام لمن لم يفرضه من الليل« [صحيح الجامع الصغير رقم (7516)].

س : ما هي المفطرات؟

ج : ذكر شيخ الإسلام رحمه الله : أن من المفطرات ما يكون من نوع الاستفراغ :كالجماع والاستقاءة ، والحيض والاحتجام. ومنها ما يكون من نوع الامتلاء: كالأكل والشرب (وما في معناها كالحقن المغذية) ومن الخارجات نوع لا يقدر على الاحتراز منه : كالأخبثين ، وإذا خدعه القيء والاحتلام في النوم ، وخروج الدم من الجروح ، والاستحاضة ، بخلاف ما إذا استقاء عمداً أو استمنى عمداً. [الفتاوى25 /265].

والمفطرات (ما عدا الحيض والنفاس) لا تفسد الصوم إلا إذا فعلها الشخص مختاراً غير مكره ، ذاكراً غير ناسٍ ، عالماً غير جاهل.

س : ما حكم قطرة العين والأذن؟

ج : لا تفطر كما ذكر أهل العلم ، وكذلك : الطيب والكحل ، وأخذ الدم للتحليل ، والرعاف ، والحقنة الشرجية ، والإبر غير المغدية ، والغبار ، وذوق الطبّاخ للطعام دون دخوله إلى جوفه ، ومن تمضمض فدخل الماء رغماً عنه إلى جوفه ، ودواء الربو الذي يؤخذ بطريق الاستنشاق ، وبلع الريق. وكذلك السواك فهو جائز في جميع أجزاء النهار.

س : ما حكم التقبيل في نهار رمضان؟

ج : إذا عرف الشخص من نفسه أنه إذا قبّل لا يخرج منه شيء ، جاز له التقبيل ، كما ورد في الصحيحين أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يقبل وهو صائم ، أما إذا كان يعلم من عادته أنه سينزل ، أو لا يضمن نفسه ، فلا يقبل ، لأنه إذا أنزل عند التقبيل أو اللمس فقد فسد صيامه.

س : ما حكم بقايا الطعام في الفم ، وفتات السواك ، واستخدام معجون الأسنان؟

ج : إذا طلع الفجر عليه فعليه إخراج بقايا الطعام من فيه ولايجوز بلعها. وكذلك لا يجوز بلع فتات السواك ، وإذا وصلت إلى حلقه رغماً عنه ، فليس عليه شيء. وكذلك الدم الخارج من اللثة لا يفطره إذا بلغ جوفه دون قصد.

أما بالنسبة لمعجون الأسنان فإنه لا يخلو من حالين :

أحدهما : أن يكون قوياً ، ينفذ إلى المعدة ولا يتمكن الإنسان من ضبطه ، فهذا محظور عليه ، ولا يجوز له استعماله ، وعلى الأقل فهو يكره.

أما إذا كان يمكنه أن يتحرز منه ، فإنه لا حرج عليه في استعماله..

س : ما حكم الأكل والشرب أثناء الأذان؟

ج : إن سمع الأذان وعلم أنه يؤذن على الفجر ، وجب عليه الإمساك ، وإن كان يؤذن قبل طلوع الفجر ، لم يجب عليه الإمساك حتى يتبين له الفجر ، وإن كان لا يعلم حال المؤذن هل أذن قبل الفجر أو بعده ، فالأولى والأحوط أن يمسك إذا سمع الأذان ، ولا يضره لو شرب أو أكل شيئاً حين الأذان لأنه لم يعلم بطلوع الفجر ، لكن عليه أن يحتاط بالتقويمات التي تحدد الوقت بالساعة والدقيقة.

س : ماذا يفعل من غربت الشمس وهو يقود سيارته ، وليس عنده ما يفطر به؟

ج : ينوي الفطر بقلبه ، ولا يفعل كبعض الجهال : يمص أصبعه أو يبلع ريقه.

س : لم يخبر أمه بطلوع الشمس شفقة عليها حتى يتسنى لها الشرب ، فما الحكم؟

ج : الأحوط أن تعيد الصيام ، ويستغفر هو ويتوب.

س : إذا رأى شخص صائماً يأكل ناسياً ، فهل يجب عليه أن يذكره؟

ج : نعم يجب عليه ذلك لعموم قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : »إذا نسيت فذكروني« ولأنه بالنسبة للمشاهد يعتبر منكراً يجب تغييره ، ولأنه من باب التعاون على البر والتقوى.

س : ما حكم التهنئة بدخول شهر رمضان؟

ج : لا حرج في ذلك.

نسأل الله أن يعيننا وإخواننا المسلمين على صيامه وقيامه كما يحب ويرضى ، والله تعالى أعلم.

المصادر :

-المغني مع الشرح الكبير - الجزء الثالث.
-مجموع الفتاوى لابن تيمية - الجزء الخامس والعشرون.
مجالس شهر رمضان -للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
مجلة البحوث الإسلامية - العدد الرابع عشر.
-فتاوى مجلة الدعوة.
-فتاوى نور على الدرب - للشيخ عبد العزيز بن باز.
- فتاوى نور على الدرب - للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

خواطر في الدعوة

الصحبة القديمة

محمد العبدة

جاء في كتاب (فضائل الصحابة) أن عـبـد الرحمن بن عوف رضي الله عنه شكى خالد بن الوليد إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لخالد: »يا خالد لمَ تؤذي رجلاً من أهل بدر ، لو أنفـقــت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله«(1). وجاء في صحيح مسلم : "كان بين خالد بن الوليد وبـيـن عبــد الـرحمن بن عوف شيء ، فسبه خالد ، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:» لا تسبوا أصـحـابـي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه«(2).
ومع بقاء هذه الأحاديث على عمومها ، ولكن من الواضح أن رسول الله وجه خالداً رضي الله عنه إلى احترام صحبة معينة وهي الصحبة القديمة ، فهؤلاء لـهـم مـنـزلـة خـاصـة ، منزلة أوائل من أسلم وسار مع الدعوة في دربها الطويل من التعذيب والحصار والهجـرة ، سار مع الدعوة في السراء والضراء ، وكان مع الوحي الإلهي وهو يتنزل آية آية وســـورة سورة ، هؤلاء الصحب هم أجدر الناس بحب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وتـقـديــره لهم.
والـذين جـــاءوا بـعـد ذلك قد يكون فيهم من يملك طاقات ومواهب ويقدم خدمات جلّى للدعــوة الإســلامية ، ولكن يبقى للرعيل الأول منزلتهم ، والإسلام ليس فيه طبقية ولا كهنوت ، وكل يؤخذ من كلامه ويرد عليه ، وليس عندنا شيخ ومريد ، ولكن من له باع طويل في الدعوة ، والتقى ظاهر عليه فيجب أن يحترم ولا يتطاول عليه من هو ناشئ غِرٌ، والحقيقة أنه ليس أضر على العمل الإسلامي ، بل على الأمم من نشوء صراع بين الجيل القديم والجيل الجديد ، فلا يستفاد من خبرة أولئك ولا من حماسة هؤلاء.
وقد عاتب الله سبحانه وتعالى أهل بدر عتاباً شديداً بسبب اختلافهم حول الغنائم ، وكان هذا الخلاف بين الشباب والشيوخ ، فقال الشباب : نحن جمعنا الغنائم وطاردنا العدو ، وقال الشيوخ : ونحن كنا ردءاً لكم ونحمي رسول

الله-صلى الله عليه وسلم- ، فأنزل تعالى:((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ))[الأنفال:1].

فليحذر الدعاة من هذا المزلق ، الذي يتلبس باسم الأمر بالمعروف أو بشبهة استعجال الطريق ، أو قد يكون جهلاً بعواقب الأمور ، والعجيب أن يسبقنا الغربيون إلى هذه الفضيلة ، فلا يدعون فرصة تفوتهم إلا ويستفيدون من كبارهم وعقلائهم ، ولا يهملونهم بل إن هذا الأمر واضح عند العوام في بلادنا فيقولون :

"الذي ليس عنده كبير ، يشتري له كبير" أو " الذي ليس عنده كبير ما عنده تدبير ".

والمسلمون في هذه الأيام بأشد الحاجة إلى كل طاقة وكل خبرة ، ونرجو أن لا تتبدد بالخصومات المفتعلة .

الهوامش:

1 - الإمام أحمد بن حنبل / فضائل الصحابة ، تحقيق وصي الله بن محمد بن عباسي

2 - صحيح مسلم 7/188.

أعلام الإسلام

ابن جرير الطبري إمام المفسرين

محمد محمد توفيق

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، ولد سنة 224 هـ ، في بلدة آمل عاصمة طبرستان ببلاد فارس.

عاش عصراً من أزهى عصور الإسلام تـقـدمــاً وإنتاجاً على جميع المستويات الفكرية ، فقد كان عصر جمع وتبويب وتصنيف ونقد ، ووضع قواعد عامة للعلوم ، واستقراء للجزئيات.

صفاته :

عفيف النفس ، لا يقبل الهدية إلا إذا كان يـقـدر عـلـى الـمـكـافأة عليها ، فيه زهد وورع وتقوى ، رفض المناصب التي عرضت عليه. كان يتمتع بعقلية واعية نيرة ، وحافظة لاقطة ، وقلب نابض بالإيمان ، وعقيدة متينة ، ونفسية مطمئنة ، وجـرأة في الحق. حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وأمَّ الناس وهو ابن ثماني سنين ، وكتب الحـديث وهـــو ابن تـسـع سنين.

برع في الفقه والحديث والقراءات والنحو والحساب وغيرها، ووهـب العلم عمره . وماله ، شهد له الجميع بسعة العلم ودقة التفكير.

كان شافعي المذهب ، ثم انفرد بمذهب مستقل لم يكتب له الدوام، وذلك لذهاب مدوناته، وتفرق أصحابه وأتباعه.

رحلاته :

رحل إلى كل من الري ، والبصرة ، وواسط ، والكوفة ، وبغداد ، وبيروت ، ومصر ، طلباً للعلم وبدلاً له ، إلى أن مات ببغداد عام 310 هـ.

من شيوخه :

في الحديث : محمد بن حميد الرازي ، وهناد بن السري ، وإسماعيل بن موسى .
وفي التاريخ : محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن أحمد بن حماد الدولابي، ومحمد بن موسى الحرشي،وعماد بن موسى القزاز، ومحمد بن الأعلى الصنعاني، وبشر بن معاذ، ومحمد بن بشار بن بندار.
وفي الفقه : الحسن بن محمد الزعفراني ، وأبو سعيد الإصطخري ، والربيع بن سليمان الجيزي تلميذ الشافعي.
وفي اللغة: أحمد بن يحيى ثعلب ..
وغيرهم كثير من مختلف المذاهب ، ومن مختلف الأقطار.

تلاميذه :

تتلمذ عليه الكثير من أشهرهم:أبو بكر بن كامل بن خلف،وعبد العزيز بن محمد الطبري، وأبو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الطبري.

كتبه :

- جامع البيان عن تأويل القرآن (جامع البيان في تفسير القرآن) ، وقد اعتمد في تفسيره هذا على المأثور الذي صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة رضي الله عنهم ، أو التابعين ، وكان يهتم بالأسانيد وتقييم الرجال ، ويبتعد عن التفسير بالرأي ، ويعرض أوجه القراءات ، ويبتعد عن التعمق الفارغ والتفريعات الهامشية والتكهنات غير المفيدة ، ويستشهد على المعنى اللغوي بأحاديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وكلام العرب وأشعارهم ، ويعتني بالإعراب فهو يوضح المعنى.
- تاريخ الأمم والملوك.
- كتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة.
- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام.
- صريح السنة (يوضح فيه مذهبه وعقيدته)..
- الفصل بين القراءات.
- آداب القضاة.
- فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وغيرها كثير ، ومما يدل على ذكائه وحفظه أنه قال :
لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به ، فجاءني يوماً رجل ، فسألنى عن شيء من العروض ، ولم أكن

نشطت له قبل ذلك ، فقلت له : علّي قول أن لا أتكلم في شيء من العروض ، فإذا كان في غد فصر إلي ، وطلبت من صديق لي كتاب "العروض" للخليل بن أحمد ، فجاء به ، فنظرت فيه ليلتي ، فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً .
رحم الله أبا جعفر وأسكنه فسيح جناته...

مصطلحات إسلامية

الصبر

إعداد : عادل التل

المعنى اللغوي :

الصبر: هو حبس النفس ، ويقال : صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها.
قال عنترة عن نفسه :
فصبرت عارفةً لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تَطَلَّعُ
والمصبورة: المحبوسة على الموت.
والصبير: الكفيل ، وإنما سمي بذلك لأنه يصبر على الغرم ، جاء في لسان العرب : صبر يصبر صبراً ، فهو صابر وصبار وصبير وصبور ، والأنثى صبور أيضاً .
قال الجوهري : الصبر حبس النفس عند الجزع.
والصبر الجراءة ، ومنه قول الله تعالى:((فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ))
والصبر:الإكراه أيضاً.
وصبير القوم : زعيمهم المقدم في أمورهم.
والصبور: هو القادر على الصبر.
والتصبر: تكلف الصبر.

المعنى الاصطلاحي :

الصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه باختلاف مواقعه.
- فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لا غير ، ويضاده الجزع.
- وإن كان في محاربة سمي شجاعة ، ويضاده الجبن.
-وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر.
- وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده الذل.
- وإن كان في إمساك عن الطعام سمي صياماً.
وهكذا نستطيع أن نصف كل ما يحتاج إلى الثبات على شيء أو الإمساك عن شيء صبراً.
والصبر والحلم قرينان ، لأن الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وضده الحماقة.

قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:»ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب «.

من أحكام المصطلح :

الصبر أساس الابتلاء في حياة الفرد والجماعة. يقول تعالى:((ولَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ والْجُوعِ ونَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ والأنفُسِ والثَّمَرَاتِ وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)) [البقرة:155].

عندما يقف المسلم داعياً إلى الله تعالى ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويصدع بالحق الذي آمن به؛ فيتعرض للأذى والعذاب ، وتنزل به المحن والخطوب ، فلا بد من الصبر والثبات أو الانحراف والفساد.

يقول تعالى:((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ ، ولَقَدْ فَتَنَّا الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَذِينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ)) [العنكبوت:2-3] .

يقول أحد الدعاة: الصبر زاد الطريق في هذه الدعوة ، إنه طريق طويل شاق ، حافل بالعقبات والأشواك ، مفروش بالدماء والأشلاء ، بالإيذاء والابتلاء.

الصبر على أشياء كثيرة :

- الصبر على شهوات النفس ورغائبها وأطماعها وضعفها.

-والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصرفهم وانحراف طباعهم وغرورهم.

- والصبر على تنفج الباطل ، ووقاحة الطغيان ، وانتفاش الشر ، وتصعير الغرور والخيلاء.

- والصبر على قلة الناصر ، وطول الطريق ، ووساوس الشيطان في ساعات الكرب والضيق.

- والصبر على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار ، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر.

- والصبر على هذا كله - ومثله - مما يصادف السالك في هذا الطريق... لا تصوره الكلمات..

إنما يدرك هذا المدلول من عانى مشقات الطريق وتذوقها انفعالات وتجارب ومرارات.((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[آل عمران:200]

شذرات وقطوف

إعداد: نجوى محمد الدمياطي

العظمة الحقيقية

حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً، أو أطيب منهم قلباً، أو أرحب منهم نفساً ، أو أذكى منهم عقلاً .. لا نـكـون قــد صنعنا شيئاً كبيراً .. لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة!.
إن العظمة الحقيقية : أن نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم ، وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم ورفعهم إلى مستوانا بقدر ما نستطيع!
إنه ليس معنى هذا أن نتخلى عن آفاقنا العـلـيـا ومثلنا السامية ، أو أن نتملق هؤلاء الناس ونثني على رذائلهم ، أو أن نشعرهم أننا أعلى منهم أفقاً.. إن التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر لما يتطلبه هذا التوفيق من جهد؛ هو العظمة الحقيقية.

سيد قطب - أفراح الروح

أهل العبودية

.. لم ينسبوا إلى اسم ... فـلـم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق..
وأيضاً، فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال فإن هذا آفة في العبودية،وهي عبودية مقيدة،وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحـبـها باسم معين من معاني أسمائها ، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها ، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم ، فلا يتقيد برسم ولا إشارة ، ولا اسم بزي ، ولا طريق وضعي اصطلاحي... بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول ، وعن طريقه؟ قال : الاتباع ، وعن خرقته؟ قال : لباس التقوى ، وعن مذهبه؟ قال : تحـكـيـم السنة ، وعن مقصوده ومطلوبه؟ قال:((يُرِيدُونَ وجْهَهُ)) وعن رباطه؟ قال:((فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ والآصَالِ ، رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وإقَامِ الصَلاةِ وإيتَاءِ الزَّكَاةِ)) وعن نسبه؟ قال :

أبي الإسلام لا أب لـي سـواه   إذا افـتـخـروا بقـيـس أو تمـيـم

ابن القيم - مدارج السالكين "بتصرف"

أنشودة رمزية

لقد حانت الساعة التي ينساب فيها شعاع الفجر الشاحب بـيـن نجــوم الشرق .
ستحمل إشعاعات الصباح الجديد ، ظل جهدك المبارك ، في السهل الذي تبذر فيه .
وسـيـحـمـل الـنـسـيـم الـذي يمــر الآن الـبــذور الـتــي تنـثـرها يداك .. بعيداً عن ظلك .

ستتابع شمس الحق سيرها دون تراجع، وستعلن قريباً انتصار الفكرة وانهيار الأصنام ، كما حدث يوم تحطم "هبل" في الكعبة.
مالك بن نبي - شروط النهضة "بتصرف".

بحوث

الإمساك عمّا شجر بين الصحابة

محمد الوهيبي

قال -صلى الله عليه وسلم- :»إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا«(1). وهكذا كان من منهج أهل السنة الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم . قـال أبـو نعيم رحمه الله : "فالامساك عن ذكر، أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وذكر زللهـم ، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه ، من أمارات المؤمنين المتـبـعـيـن لهــم بإحســان الذين مدحهم الله عز وجل بقوله:((والَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْـوَانِــنَـــا الَذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ)).
ويقول أيضاً في تعليقه على الحديث المشار إليه : " لم يأمرهم بالإمساك عن ذكر محاسنهم وفـضـائلهم ، إنما أمروا بالإمساك عن ذكر أفعالهم وما يفرط منهم في ثورة الغضب وعارض الموجــدة " (2). إذاً الإمساك المشار إليه في الحديث الشريف إمساك بخصوص يقصد به "عدم الخــوض فيـمــا وقــع بـيـنـهـم مــن الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة ، أو التـعــرض لهم بالتنقص لفئة ، والانتصار لأخرى " (3). وذلك مما لم نؤمر به ، إنما أمرنا بالاسـتـغـفـار لهــم ومحـبـتـهـم ونـشــر محـاسنهم وفضائلهم. "لكن إذا ظهر مبتدع ، يقدح فيهم بالباطل فلا بد من الذب عنهم وذكـر مــــا يبطل حجته بعلم وعدل" (4).
وهذا مما نحتاجه في زماننا ، حيث ابتليت الأمة المسلمة بجامعاتها ومدارسها بمناهج - يزعم أصحابها الموضوعية والعلمية - يخوضون فيما شجر بين الصحابة بالباطل دون التأدب بالآداب التي علمنا إياها عز وجل ورسوله -صلى الله عليه وسلم- كذلك ابتليت بالفرق الضالة التي نشرت ذلك فى بعض البلاد ، بل إن العدوى-وللأسف- وصلت بعض الإسلاميين حتى إن بعضهم يجمع الغث والسمين من الروايات حول الفتنة التي بين الصحابة ثم يبني أحكامه دون الاسترشاد بأقوال الأئمة الأعلام وتحقيقاتهم . من أجل ذلك أردت أن أشير إلى بعض الأسس والتوجيهات التي ينبغي أن يعرفها الباحث إذا اقتضت الحاجة أن يبحث وينظر إلى الروايات فيما شجر بينهم.

1 -إن الكلام عما شجر بين الصحابة ليس هو الأصل ، بل الأصل العقدي عند أهل السنة هو الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة ، وهذا مبسوط في عامة كتب أهل السنة في العقيدة كالسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، والسنة لابن أبي عاصم ، وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني ، والإبانة لابن بطة ، والطحاوية وغيرها. ويتأكد هذا الإمساك عند من يخشى عليه الالتباس والتشويش والفتنة وذلك بتعارض ذلك بما في ذهنه عن الصحابة وفضلهم ومنزلتهم وعدالتهم وعدم إدراك مثله "لصغر سنه أو حداثة عهده بالدين.. " لحقيقه ما حصل بين الصحابة واختلاف اجتهادهم في ذلك فيقع في الفتنة "بانتقاصه الصحابة" من حيث لا يعلم.. وذلك مبني على قاعدة تربوية تعليمية مقررة عند السلف وهي ألا يعرض على الناس من مسائل العلم إلا ما تبلغه عقولهم ، قال الإمام البخاري رحمه الله : "باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ، وقال علي رضي الله عنه : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟. قال الحافظ في الفتح تعليقاً على ذلك : "وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبني أن يذكر عند العامة ومثله قول ابن مسعود: "ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" رواه مسلم.
وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ، ومالك في أحاديث الصفات ، وأبو يوسف في الغرائب.." إلى أن قال : "وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب ، والله أعلم" (5).
2 - وإذا دعت الحاجة إلى ذكر ما شجر بينهم فلا بد من التحقق والتثبت في الروايات المذكورة حول الفتن بين الصحابة ، قال عز وجل:((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) هذه الآية تأمر المؤمنين بالتثبت في الأخبار المنقولة إليهم عن طريق الفساق لكي لا يحكموا بموجبها على الناس فيندموا ، فوجوب التثبت والتحقق فيما ينقل عن الصحابة وهم سادة المؤمنين أولى وأحرى ، خصوصاً ونحن نعلم أن مثل هذه الروايات دخلها الكذب والتحريف ، إما من جهة أصل الرواية ، أو تحريف بالزيادة والنقص يخرج الرواية مخرج الذم والطعن ، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب ، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب مثل أبي مخنف لوط بن يحيى ، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وأمثالهما (6) ، من أجل ذلك لا يجوز أن يدفع النقل المتواتر في محاسن الصحابة وفضائلهم بنقول بعضها منقطع وبعضها محرف وبعضها لا يقدح فيما علم ، فإن اليقين لا يزول بالشك ، ونحن قد تيقنا ما ثبت في فضلهم ، فلا يقدح في هذا أمور مشكوك فيها فكيف إذا علم بطلانها(7).

3 -أما إذا صحت الرواية في ميزان الجرح والتعديل وكان ظاهرها القدح فيلتمس لهم أحسن المخارج والمعاذير ، قال ابن أبي زيد: ".. والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب"(8). وقال ابن دقيق العيد: " وما نقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه ، فمنه ما هو باطل وكذب ، فلا يلتفت إليه ، وما كان صحيحاً أولناه تأويلاً حسناً لأن الثناء عليهم من الله سابق ، وما ذكر من الكلام اللاحق محتمل للتأويل ، والمشكوك والموهوم لا يبطل المحقق والمعلوم" (9) ، هذا بالنسبة لعموم ما روي في قدحهم.

4 - أما ما روي على الخصوص فيما شجر بينهم ، وثبت في ميزان النقد العلمي فهم فيه مجتهدون "وذلك أن القضايا كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام :

أ- قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته ، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

ب -وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق مع الطرف الآخر ، فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه.

ج - وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضايا وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين ، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك (10).

إذاً هذا القتال هم متأولون فيه ، لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها وذلك لا يخرجهم من العدالة بل هم في حكم المجتهدين في مسائل الفقه فلا يلزم نقص أحد منهم إنما هو بين أجر وأجرين. ومن المهم أن نعلم أن القتال الذي حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن على الإمامة ، فإن أهل الجمل وصفين لم يقاتلوا على نصب إمام غير علي ولا كان معاوية يقول إنه الإمام دون علي ولا قال ذلك طلحة والزبير... وإنما كان القتال فتنة عند كثير من العلماء-بسبب اجتهادهم في كيفية القصاص من قاتلي عثمان رضي الله عنهم - ، وهو من باب قتال أهل العدل والبغي وهو القتال بتأويل سائغ لطاعة غير الإمام لا على قاعدة دينية - أي ليس بسبب خلل في أصول الدين - (11). ويقول عمر بن شبه : "إن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة ولا دعوا لأحد ليولوه الخلافة ، وإنما أنكروا على علي منعه من قتال قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم "(12).

ومما يؤكد ذلك هذه الرواية التي ذكرها ابن كثير: "جاء أبو مسلم الخولاني وأناس إلى معاوية ، وقالوا: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال : لا والله ، إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمته ، والطالب بدمه ، فائتوه فقولوا له ، فليدفع إليَّ قتلة

عثمان ، وأسلم له ، فائتوا علياً ، فكلموه. فلم يدفعهم إليه (13)" وفي رواية : " فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية" (14).
وأيضاً جمهور الصحابة ، وجمهور أفاضلهم ما دخلوا في فتنة ، قال عبدالله ابن الإمام أحمد: حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا أيوب السختياني عن محمد بن سيرين قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين". قال ابن تيمية: "وهذا الإسناد أصح إسناد على وجه الأرض ، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقه ، ومراسيله من أصح المراسيل" (15). فأين الباحثون المنصفون ليدرسوا مثل هذه النصوص الصحيحة؟ وتكون منطلقاً لهم ، لا أن يلطخوا أذهانهم بتشويشات الإخباريين ثم يؤولون النصوص الصحيحة حسب ما عندهم من البضاعة المزجاة.
5- ومما ينبغي أن يعلمه المسلم حول الفتن التي وقعت بين الصحابة-مع اجتهادهم فيها وتأولهم - حزنهم الشديد وندمهم لما جرى ، بل لم يخطر ببالهم أن الأمر سيصل إلى ما وصل إليه ، وتأثر بعضهم التأثر البالغ حين يبلغه مقتل أخيه ، بل إن البعض أيضاً لم يتصور أن الأمر سيصل إلى القتال ، وإليك بعضاً من هذه النصوص المؤثرة:
أ-فهذه أم المؤمنين عائشة تقول -كما يروي عنها الزهري - : " إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني ، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال ، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً" (16) ، وكانت إذا قرأت : ((وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)) تبكي حتى يبتل خمارها " (17).
ب -أما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيقول الشعبي: "لما قتل طلحة ورآه علي مقتولاً ، جعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : عزيز علي أبا محمد أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء ، ثم قال : إلى الله أشكو عجري وبجري (همومي وأحزاني) وبكى عليه هو وأصحابه ، وقال : يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة" (18) ، ويقول رضي الله عنه : " يا حسن يا حسن ، ما ظن أبوك أن الأمر يبلغ إلى هذا ، ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة " (19). وكان يقول ليالي صفين : "لله در مقام عبد الله بن عمر وسعد بن مالك (وهم ممن اعتزل الفتنة) إن كان بدًا إن أجره لعظيم ، وإن كان إثماً إن خطره ليسير" (20). فهذا قول أمير المؤمنين رغم قول أهل السنة إن علياً ومن معه أقرب إلى الحق (21).
ج -ويقول الزبير بن العوام رضي الله عنه وهو ممن شارك في القتال بجانب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها ، فقال مولاه : أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال : ويحك! إنا نبصَّر ولا نبصِر ، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه ، غير هذا الأمر ، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر؟ " (22).

وهذا معاوية رضي الله عنه ، لما جاءه نعي علي بن أبي طالب ، جلس وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكي ، فقالت امرأته ، أنت بالأمس تقاتله ، واليوم تبكيه؟ فقال : ويحك ، إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره ، وفي رواية "ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم" (23).
وبعد كل هذه النقولات كيف يلامون بأمور كانت مشتبهة عليهم؟ فاجتهدوا فأصاب بعضهم ، وأخطأ الآخرون وجميعهم بين أجر وأجرين ، ثم بعد ذلك ندموا على ما حصل وجرى ، وتابوا من ذلك ، وما حصل بينهم من جنس المصائب التي يكفر الله عز وجل بها ذنوبهم ، ويرفع بها درجاتهم ومنازلهم قال -صلى الله عليه وسلم-: »لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يسير في الأرض ليس عليه خطيئة« (24) ، وعلى أقل الأحوال لو كان ما حصل من بعضهم في ذلك ذنباً محققاً ، فإن الله عز وجل يكفره بأسباب كثيرة من أعظمها الحسنات الماحية-من سوابقهم ومناقبهم وجهادهم -،والمصائب المكفرة، والاستغفار ، والتوبة التي بها يبدل الله عز وجل السيئات حسنات ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .
6 - وأخيراً نقول إن أهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر ، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب ، فيكون إما قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه ، أو غفر له بسابقته ، أو بشفاعة محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة ، فكيف الأمور التي هم فيها مجتهدون إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد ، والخطأ مغفور. ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر ، مغفور في جنب فضائل القوم ، ومحاسنهم من إيمان وجهاد وهجرة ونصرة وعلم نافع وعمل صالح (25).
يقول الذهبي رحمه الله : "... فالقوم لهم سوابق ، وأعمال مكفرة لما وقع بينهم وجهاد محّاء وعبادة ممحصة ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم ، ولا ندعي فيهم العصمة " (26).
إذاً اعتقادنا بعدالة الصحابة لا يستلزم العصمة ، فالعدالة استقامة السيرة والدين ، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً ، حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه.. ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي... " (27).
ومع ذلك يجب الكف عن ذكر معايبهم ومساويهم مطلقاً - كما مر سابقاً - ، وإن دعت الضرورة إلى ذكر زلة أو خطأ لصحابي ، فلا بد أن يقترن بذلك ذكر منزلة هذا الصحابي وتوبته وجهاده وسابقته.. ، إن وجد شيء من ذلك ، فمثلاً

من الظلم أن نذكر زلة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، دون أن نذكر توبته وسابقته وأنه من أهل بدر ، ومن الظلم أيضاً أن نذكر ماعزاً وزلته ولا نذكر توبته التي لو تابها صاحب مكس لقبل منه ، (28) وهكذا فالمرء لا يعاب بزلة يسيرة حصلت منه في فترة من فترات حياته ، وتاب منها ، فالعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية إن كانت له حسنات ومناقب ، ولو لم يزكه أحد ، فكيف إذا كثرت فيه التزكيات ، وكيف إذا زكاه خالقه ، الخبير بما في نفسه؟.

الهوامش:

1 - أخرجه الطبراني في الكبير 2/78/2.
2 - الإمامة/347.
3 -منهج كتابة التاريخ ، محمد بن صامل السلمي ، ص 227 ، 228.
4 - منهاج السنة 3 / 192.
5 - فتح الباري 1 / 225.
6 -انظر منهاج السنة 3 / 17 ، 19.
7 - المصدر السابق 3 / 209 بتصرف.
8 - مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ص 8.
9 -- أصحاب رسول الله ومذاهب الناس فيهم / 360 عبد العزيز العجلان.
10 - مسلم بشرح النووي 15 / 49.
11 - فتح الباري 13/ 56.
12 - سير أعلام النبلاء ، الذهبي 3 / 140 بسند رجاله.
13 - البداية والنهاية 8 / 129.
14 - منهاج السنة 3 / 186 ، وراجع في نفس الموضوع نصوص أخرى تدل على قلة من حضر الفتنة من الصحابة .
15 - مغازي الزهري ، 154.
16- سير أعلام النبلاء 2 /177.
17 - أسد الغابة ، ابن الأثير 3 / 88 ، 89.
18 - منهاج السنة 6 / 209 (محقق).
19 - المصدر نفسه 6 / 209 (محقق).
20 - فتح الباري 12 / 67.
21 - تاريخ الطبري 4 /476.
22 - تاريخ الطبري 4/476.
23 - البداية والنهاية 8/14 ، 130.
24 - الترمذي ، رقم 2401 ، قال : حسن صحيح.
25 - انظر الواسطية بشرح هراس / 164 - 167.
26- سير أعلام النبلاء : 10 / 93.

27 - منهج المحدثين للأعظمي / 23 - 29.
28 - الإمامة لأبي نعيم / 340 ، 341 ، منهاج السنة 2/207 ، محقق.

كتاب في مقال

المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية

تأليف : عبد الله أحمد الشبانة

عرض : أحمد أبو عامر

من أعظم ما أصيب به المسلمون اليــوم هو مـا سيطر عليهم من روح الانهزام أمام أعداء الإسلام ، وضعف الهمة من بعث روح الـمـقـاومة والمغالبة ، والعجز عن مجرد التفكير في ذلك ، حتى بلغت أمتنا في ذلك مبلغاً من الانحـطــاط والتقهقر والتخلف لا نريد عليه... ونحن اليوم في أشد الحاجة إلى تعرية هذا الـمـــرض الخبيث الذي يقلب الموازين ويعكس المفاهيم حتى أصبحنا نظن العدو صديقاً ، والأبـيـــض أسود ، والغاش ناصحاً ، والناصح غاشاً ، وهذا ما حدا بالمؤلف إلى علاج هذه الظاهـــرة المرضية في واقعنا ، وقبل أن يحدد معنى الهزيمة النفسية تطرق إلى مدخل لبيان أهمية معرفة هذه الظاهرة كبداية لعلاجها ثم عن مظاهر الهزيمة النفسية في ثلاثة أبواب:

أولاً: في مجال الفكر ، وتطرق فيه للفكر التربوي ثم الفكر الإعلامي.
ثانياً: في مجال النظم ، وتطرق فيه للنظامين الاقتصادي والسياسي.
ثالثاً: في مجال السلوك ، وتطرق فيه للسلوك الفردي والسلوك الاجتماعي.

ثم بين خطر هذه الظاهرة في محيط الفرد، ثم في محيط الأسرة ثم فـي محـيـط الجـمـاعـــة والأمـة . ثـم تـطـرق المؤلف إلى أسباب هذه الظاهرة وعوامل تكوينها ، وأرجعها إلى أسباب وعوامل ذاتية ، ثم أسباب وعوامل خارجية. ثم تطرق المؤلف إلى طريق علاج هذه الظاهرة ووسائل القضاء عليها.

ومما يجدر ذكره أن المؤلف استعرض الجهود العلمية والفكرية والتي سبقته لعلاج وبحث هذه الظاهرة في النفس والمجتمع ، ومن سبق إلى البحث فيها أمثال (شكيب أرسلان) في كتابه (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) وكذلك أبو الحسن الندوي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ومالك بن نبي في (شروط النهضة) وأبو الأعلى المودودي في كتابه (واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم) و د.ناصر العقل في كتابه (التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية) وهو لم يطبع بعد طبعته الأولى ، وهذه فرصة للدعوة

لإعادة طبع الكتاب لأهمتيه في هذا الباب... وغيرها من الأبحاث الهامة في هذا الباب.
وقد وضح طرق علاج هذه الظاهرة ووسائل القضاء عليها في بابين :
1 - طريق التربية والتعليم .
2 - طريق التوجيه والإرشاد (الإعلام).
وفي خاتمة الكتاب جمع المؤلف خلاصة ما تضمنه البحث من أبواب وفصول ، وأكد أنه كبير الأمل وعظيم الثقة في أن نجاحاً كبيراً سيتحقق من جراء الأثر الإيجابي للعلاج ، وأن شفاء الأمة من هذا المرض سيتم بإذن الله من هذا الداء الخطير ، وستمضي بحول الله تعيد سيرة سلفها الصالح ، وأمجادها الغابرة ، ونبه إلى أن واجب كل مسلم واع مدرك للخطر منتبه لما يراد بالأمة وما تساق إليه بل ما سيقت له منذ أزمان أن يعمل بكل ما أوتي من قوة وبكل وسيلة ممكنة لتبصير الأمة بالأخطار التي هددتها وتهدد كل فرد من أفرادها..
وأن واجب المسئولين في كل دولة واجب مضاعف ، وخاصة مسئولو ذينك المجالين المهمين : (التربية والإعلام) ثم نبه إلى نوع من الانهزامية لم يتطرق له لعدم دخوله في منهج البحث وهو ما تتعرض له الأمة في مجال الأدب ومناهج النقد عن طريق ما يسمى بالحداثة والتي انكشفت كل أوراق أدعيائها بما ظهر من دراسات علمية وموضوعية حول ذلك.
والكتاب دراسة يلمس فيها القارئ حسن القصد وحسن البحث ولن يعدم كل قارئ للكتاب من أصول ومعلومات علمية قيمة تزيد ثقافته وتناقش كثيرًا من الشبهات المطروحة في الساحة بمنهج علمي جدير بالتقدير والاحترام .

تربية

التربية : الواقع والبديل

عدنان محمد عبد الرزاق

التربية أم التعليم :

حرصت معظم دول العالم في السنوات الأخيرة على تسمية المؤسسات والوزارات المهتمة بشئون التعليم بالتربية بدلاً من التعليم ، وبعضهم قرن التربية بالتعليم حرصاً منهم على أهمية التربية ، وعلى أن التعليم جزء من التربية ، والتربية أعم وأشمل.
وهذه حقيقة أدركها سلفنا الصالح إذ كانوا يسمون معلم الأولاد: المؤدب والمربي. وهنا يحضرني قول ابن المبارك رحمه الله : "تعلمنا الأدب ثلاثين عاماً وتعلمنا العلم عشرين".

وليست هذه التسميات الحديثة إلا نتيجة أبحاث وتجارب طـويـلـة قـامـت هـنـا وهـنـاك وتـنـاولها الأبناء عن الآباء.. وهي ليست حكراً على أحد بل تنتقل من بلد لآخر بل هنالك مؤسسات متخصصة بنقل تجارب الآخرين وخبراتهم مثل منظمة "اليونيسكو" إذ لها نشاط واسع في هذا المجال ، والمربون المتخصصون يستطيعون تمييز الخبيث من الطيب..

ولا يمـكـن فـصـل الـتـربــية عن التعليم ، فالتربية إذ تسعى لبناء الإنسان السوي المحب للفضيلة ذي الشخصية الـمـتـوازنــة الـمـتحلي بمكارم الأخلاق فهي حريصة أن يكون هذا الإنسان متعلماً مثقفاً بالعلوم المختلفة ، فـهـو هدف من أهدافها.. فالتربية تواكب التعليم ، وأكثر ما تكون وضوحاً في سنين الدراسة الـمتقدمة ، الابتدائي والإعدادي.. وتقل في سني الدراسة المتأخرة ، حيث تكون شخصية الـمتعلم قد تبلورت ، وهذا لا يعني انعدامها...

ولا بد حتى تتضح صورة التربية ممزوجة بالتعليم من ذكر بعض الأمثلة من المنهج والمربي والطالب.

فمن حيث المنهج نورد بعض الأمثلة التي تهدف إلى التعليم البحت وأخرى إلـى الـتربيـة والتعليم معاً ، ففي الحساب مثلاً ؟ لنأخذ هذا المثال :

مـع سـعـيـد 50 ريـالاً صـرف منها 10 ريالات ، كم بقي عنده؟ يمكن صياغة المثال نفسه حتى يحقق غاية تربوية وتعليمية فيصبح كالتالي: مع سعيد 50 ريالاً ، أعطى فقيراً قابله 10 ريالات ، كم بقي عنده ؟

وفي العلوم أيضاً انظر إلى هذه المعلومة الموجودة في الكتب :

حبت الطبيعة الزرافة عـنـقـاً طـويـلاً لـتـسـتـطـيـع أكل أوراق الأشجار. ويمكن صياغة هذه المعلومة؛ بل يجب أن تصاغ كالتالي :

خلق الله للزرافة عنقاً طويلاً لتستطيع أكل أوراق الشجر .. عـلـى افـتـراض أن الـمـعـلومـة صحيحة ، فهنا تربية مع تعليم.

وهـكـذا فـي مخـتـلـف الـمواد تستغل النصوص وتتضافر المعلومات لتحقق أهداف سلوكية ووجدانية بالإضافة إلى الأهــداف التعليمية حتى يحمل الطالب الأدب والفضيلة والعلم .

هـذا فـي الـمـنـاهج؛ أما في مجال المربي والطالب فما أكثر المواقف اليومية التي تمر والتي تحمل مئات الفرص لكي يتربى الطالب من خلالها ولا بد هنا من ذكر بعض الأمثلة :

لنتصور أن طالباً أخطأ في الإجابة الصحيحة يمكن أن يقال له ما يلي:

- خطأ اجلس.
- أنت بواد ونحن بواد.
- غير فاهم أبداً ، مع بعض عبارات التوبيخ أحياناً...

ويمكن أن يقال له : جزاك الله خيراً لقد اقتربت من الإجابة ، ويسأل من يساعد أخاه أو يكمل له الإجابة؟.

فالعبارات الأولى ليست من التربية بل العكس تعين على إحباط الطالب.
والإجابة الأخيرة من المربي أنقذت الموقف ولم يشعر الطالب بأي شيء غير عادي..
مثال آخر: دخل المدرس الفصل ووجد الطلاب قد أمسكوا بطالب سارق وجدوا عنده قلم زميله ، وتعالت الأصوات : سارق ، سارق! فما كان من المدرس إلا أن صاح معهم سارق! كيف تسرق؟ والله لأفعلن وأفعلن.. وانهال عليه ضرباً وتوبيخاً.
وتصرف آخر بديل : أسكت المعلم الطلاب وقال : لا ، سعيد لا يسرق ، كيف يسرق ويعرف أن السرقة حرام ؟! لا بد أنه أخطأ وظن أن القلم قلمه ، ووضعه في الحقيبة ، أليس ذلك يا سعيد ؟
سعيد: بلى يا أستاذ... تلافى الفضيحة ثم بينه وبين سعيد يعالج الأمر إذا اقتضى ذلك بالطرق المعروفة.
فالسرقة والكذب والاعتداء والحيل كل ذلك يحصل مع الأطفال في المراحل الأولى ، ولكن يجب أن يعالج بحكمة لأن موقفاً واحداً ارتجالياً مع طالب قد يحطم شخصيته ويجعله غير سوي طيلة حياته ، وإنني لا أنسى ذلك المدرس الذى كاد يحطم طالباً صغيراً لأنه بال بولاً لا إرادياً في الفصل ، وأصبحنا شباباً كباراً حين نمر بذلك الطالب فيطرق خجلاً وحرجاً منا لأننا نعرف القصة ، وحين حصل مثل ذلك مع مدرس آخر وأصر الطلاب على أن الطالب بال في الفصل على ملابسه ، وقف المدرس إلى جانب الطالب بحكمته وصرف انتباههم بلباقة عن التفكير في هذا الموضوع حتى سرعان ما نسوه وانتهى الأمر.
إن الطفل يحتاج إلى يد حانية تمسح على رأسه.. وتأخذ بيده إلى شاطئ التوازن النفسي بعيداً عن الخلل والشروخ.. وهذا ما دعا بعض الدول الغنية إلى تعيين (أخصائي اجتماعي) في كل مدرسة يعالج مثل هذه الأمور.. ولكن التجربة لم تنجح لسببين :
الأول : سوء اختيار هؤلاء الأخصائيين.
والثاني : المعلم أولى بحل هذه الأمور ومعالجة هذه المواقف وذلك لعدم التوسع في نشر مثل تلك الأسرار والمشاكل.
وخلاصة القول لا بد من التربية أولاً ، والتعليم معها ثانياً وخاصة في المراحل الأولى ، إذ تعتبر المدرسة امتداداً للبيت فيجب أن تتضافر جهود المربين على ذلك ، ليحمل العلم المتزنون الصالحون المؤدبون المحبون للفضيلة لكي يؤتي هذا العلم ثماره ، ويحمله أهله..
على يد من يتربى الأبناء؟
أول ما يتبادر إلى الذهن أن الأبناء يتربون على أيدي معلمي وزارة التربية والمؤسسات التابعة لها.. نعم هذه حقيقة ، ولكن هل هؤلاء فقط؟ أم هنالك

مصادر أخرى تؤثر في العملية التربوية؟ إذاً ما هي هذه المصادر والمؤسسات المعنية بالتربية بشكل مباشر أو غير مباشر ، وبنسب مختلفة؟ والتى لا بد لكل مشتغل بأمور التربية أن يضعها في حسابه؟:
1 - البيت : وهو أولها وأهمها وأطولها مدة وامتداداً وهو الأساس.
2 - والمدرسة.
3 - البيئة والمجتمع : كالمساجد ، والمكتبات ، والمحاضرات ، والأندية والجمعيات ، ووسائل الإعلام باختلافها وبتنوع أساليبها.. والخدمة العسكرية في بعض الدول لها دور كبير في صقل شخصية الأفراد.
وكذلك سياسة الدولة العامة ، هل هي قائمة على احترام مواطنيها ، وحرصها على أن يكونوا عاملين منتجين تهيئ لهم العيش الكريم أم عكس ذلك تحرص على قهرهم وإذلالهم وإبقائهم مستهلكين ضعفاء؟ كل هذه المؤسسات التي ذكرنا والتى فاتنا ذكرها تترك بصماتها جلية واضحة على شخصية ذلك البرعم ، وكل واحدة منها تحتاج إلى كتب لتتناولها بالشرح والتفصيل والتأثير وما لها وما عليها.

التربية من خلال المدرسة:

حينما تذكر المدرسة نعني بذلك المؤسسة الرسمية المعنية بالتربية والتي تكون غالباً تحت إشراف الحكومات ، وقد اتفق المربون على أن عناصر العملية التربوية ثلاثة:
1 - المنهج أو الكتاب.
2 - والطالب.
3 - والمربي.

المناهج :

قبل الحديث عن المناهج لا بد من الكلام عن أهداف التربية إذ أن المناهج تخدم تلك الأهداف..
تعتبر أهداف التربية في كل بلد عنواناً لسياسة ذلك البلد لبناء مجتمع يحقق له طموحاته وتطلعاته ، فمن البديهي أن تختلف أهداف التربية من بلد لآخر.. فأهداف التربية في اليابان مثلاً تهدف إلى إقامة قاعدة صناعية عريضة تختلف عن أهداف التربية في إسرائيل إذ تهدف لبناء قاعدة عسكرية عريضة ، والقاسم المشترك بين الأمم من أهداف التربية هو إعداد المواطن "الصالح"..
وهنا ومن خلال الأهداف تكمن خطورة الأمر إذ توجه كافة الوسائل والأنشطة لخدمة ذلك الهدف وقلما تجد بين الأهداف هدفاً يدعو لترسيخ العقيدة الصحيحة أو إعداد الإنسان المسلم الحق... وإذا وجد مثل ذلك قرن بشيء آخر أفسده كأن يكون الهدف : إعداد الإنسان المؤمن بالله والوطن..

وهذه الأهداف العامة تتشعب إلى أهداف خاصة ثم توضع في قوالب مختلفة لتشكل فيما بعد مع المواد العلمية المناهج المقررة للتدريس.
إذاً تصاغ المناهج وفقاً للأهداف من قبل متخصصين بالمواد العلمية وعلماء نفس وتربية ، ومدرسين ذوي خبرة طويلة... ثم تفرغ في كتب ، وتجرب وتعدل بين الحين والآخر لتشكل دليلاً للمعلم والطالب وخطاً عريضاً يسترشد به وفق ما رسم له. والحديث عن المناهج وما سببته من غسل دماغ الناس وتزوير التاريخ يطول جداً ، ولكن أقول : إن أغلب المناهج التي بين أيدينا مترجمة ومنقولة عن غيرنا بسلبياتها دون الإيجابيات وبعض النظريات أو الفرضيات قد تركها أصحابها ونحن ما زلنا متعلقين بها.

الطالب :

وهو محور العملية التربوية فالجميع يعمل لأجله.. والجهود والتجارب كلها من أجل أن تحقق له المزيد من المكاسب.. فيجب أن تكون المدرسة بالنسبة له حياة وليست إعداداً للحياة ، يتعلم من خلالها وهو يلعب ويلهو ، وهي امتداد طبيعي للبيت ، وتغيرت كثير من المفاهيم فلم يعد الطفل صفحة بيضاء تكتب فيها ما تريد بل هو جملة من الانفعالات والإحساسات تحتاج إلى توجيه وتصعيد.. ويجب أيضاً أن يكون الطالب إيجابياً يتعلم بنفسه ، والمعلم سلبياً يراقب ويوجه ، وخرج الطلاب في دول الغرب من سجون الصفوف إلى المخابر والمزارع والمعامل للتعلم وأصبحت العملية تعلّمية وليست تعليمية كذلك الثواب والعقاب والواجبات كل ذلك خضع لتجارب كثيرة وأبحاث كلها تهدف إلى إعداد هذا المتعلم ليكون شخصية متوازنة صالحة.
أما في كثير من الدول العربية فلا يزال الطالب بين جدران الفصول يتلقى الخطب والمحاضرات النظرية وأسيراً يعد الساعات حتى يسمع جرس الانصراف في حين زميله في الدول الأخرى تراه يبحث في المختبر والمعمل ويخترع ويشجع..

المربي :

وهو في العملية التربوية الأهم على الإطلاق والمنهج بعده في الأهمية وهو الرأس إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله.. إذ يستطيع المربي الفاضل أن يغطي سلبيات المناهج ويستطيع المربي الفاشل أن يغطي إيجابيات المناهج أيضاً..
والأهم من ذلك والأصعب أن الطالب لا يتربى على يد المربي من خلال الدروس فقط بل يأخذ عنه أضعاف ذلك من خلال النشاطات والإعجاب الشخصي والمحاكاة حتى في اللباس والمشي والكلام ، يأخذ في هذا المجال وقد يتأثر به ويأخذ عنه أكثر مما يأخذ عن الأب.

فأين هذه الشخصية المتزنة الطيبة القدوة إلى الخير الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر الذي يضع مخافة الله نصب عينيه حاملاً هذه الأمانة محباً لها ، عارفاً بصعوباتها.. كيف يختار؟.
يخضع اختيار المدرسين إلى اعتبارات تتوافق مع سياسة البلد لتضمن تحقيق الأهداف التي رسمتها وتطبيق المناهج التي أعدتها لذا تختلف الدول في ذلك. وتتفق في شيء واحد وهو حصوله على المؤهل الذي يؤهله للعمل ، وإذا لم تسع الدولة لتأمين المدرس الكفـؤ فهي تهدم بيتها بيدها مهما طال الزمن أو قصر.

أما المؤهل فينقسم إلى قسمين :

الأول علمي : فيجب أن يكون المدرس ملماً إلماماً جيداً بالمادة التي سيدرسها.
الثاني تربوي : وهو حصوله على مؤهل تربوي يدرس من خلاله :
1 - طرق تدريس المواد: أي كيف يوصل هذه المواد للطالب وفن ذلك.
2 - تربية وعلم نفس : وهي معرفة المراحل النفسية والانفعالية التي يمر من خلالها الطالب ليسهل عليه التعامل معه بدقة ويأخذ بيده.
فلا يعتبر مربياً من لم يحصل على المؤهل التربوي الثاني ولو كان في مادته في أعلى الدرجات... ومع أهمية هذا الأمر فقد غاب عن أذهان كثير من الناس وممن نحسبهم على خير. وقد فطن له وتنبه له كثير من الدول التي قطعت شوطاً كبيراً في هذا المضمار؛ ففي فرنسا مثلاً يختار خيرة المربين للمرحلة الابتدائية ، وتكون رواتبهم أعلى الرواتب ، ويحترمون من الجميع ، ولم لا؟ ، لأن الأساس هنا والبناء هنا ، وبناء الإنسان أهم بكثير من بناء البنيان.. والرابح هو المجتمع في حين سمي "دار المعلمين" في إحدى الدول العربية (مأوى العجزة) وكنا نسمعها من مدرسينا إذ ينصحوننا بأن لا نعمل في التربية والتعليم أبداً لما لاقوه ، حتى قالوا: اشتغل أي عمل ولا تشتغل معلماً ، وإذا أراد شخص أن ينتقص من الآخر يقول له "معلم أولاد".
وليست هذه هي المصيبة فحسب بل هذه نصف المصيبة والنصف الآخر أن المعلمين أنفسهم صدقوا هذا وعرفوه ، وإذا أردت المزيد يكفي الاطلاع على مجلاتهم التي تصدر عنهم وعن النقابات لتراها مليئة بالنكات والرسوم الكاريكاتورية التي تحمل هموم المعلمين ومشاكلهم وخاصة الاجتماعية والمادية ، حتى يخيل إليك أنهم متسولون.
فالمعلم يعرف نفسه ويعرف قدره في المجتمع لذا تراه متخفياً لا يظهر أنه معلم فلقد أمضينا ثلاث سنوات ونصف مع زميل لنا وأخفى عنا أنه معلم وحين عرفنا فيما بعد قال: حتى إذا تكلمت يسمع لي.
ومعلم آخر يدعي أنه بائع أمام أناس اجتمع بهم وحين سئل عن السبب قال: تريدون أن يضحكوا مني؟!..

فبأي نفسية يربي هؤلاء وبأي عطاء يعطون وأي قدوة يكونون؟! إن ذلك الواقع الأليم شائع ليس في الدول التي تسمي فقيرة فحسب؛ بل في الدول الغنية أيضاً قلما تجد شباباً يتقدمون إلى هذه المهنة إلا من ضاقت عليهم المهن الأخرى وينتظر أي فرصة ليتفلت منها.

هذه الهموم ينقلها المربون إلى الأبناء والأبناء إلى من بعدهم ، وهكذا يتراكم الجهل والخطأ ويتنكر المجتمع الجاهل للمعلم ، والمعلم للمجتمع والطالب.

هل يمكن من خلال هذا الواقع إعادة ترتيب الأوراق وأن تقوم عملية تربوية متكاملة تجمع بين آخر ما وصل إليه العالم من تجارب في هذا المضمار وبين تعاليم ديننا الحنيف؟..

الجواب : نعم بإذن الله.. فإذا صيغت الأهداف صياغة جديدة لبناء مجتمع إسلامي قائم على الفضيلة منتج آخذ بالأسباب والسنن الكونية مواكب لركب العلم الحديث غدت المناهج تخدم هذه الأهداف ، واختير المدرس الكفؤ الذي يتقي الله ليحمل هذه الأمانة ، وتعاونت مكانة المؤسسات المعنية بالتربية من بيت ومدرسة وإعلام ومساجد وجمعيات... تعاونت جميعاً على هدف واحد أظن أن ذلك يحقق التربية التي نصبوا إليها ، وهذا لا يتحقق إلا من خلال الأجهزة العليا المسئولة عن السياسة العامة .

طب وتغذية

د. عبد السلام معروف

تحت عنوان : "الماشية البريطانية خـطـر عـلـى الصحة" كتبت صحيفة (الديلي تلغراف) البريطانية مقالاً تحدثت فيه عن أمراض الماشية ، نوجزه فيما يلي :

أعلنت لجنة السوق الأوربية المشتركة أن الماشية البريطانية خطر على الصحة ، وفرضت حظراً على استيراد الماشية التي ولدت قبل شـهــر (يوليو) 1988 ، وهـذه الخـطـة سوف تكلف المزارعين من الخسائر (7) ملايين جنيه ، وسوف تهدد تجارة الماشية الحيــة التي تبلغ (47) مليون جنيه في السنة ، وقد فشلت جهود الحكومة البريطانية في تهدئة خوف المستوردين من (مرض الجنون البقري) المعروف علمياً بالتهاب المخ البقري.

إن إحصائيات وزارة الزراعة تفيد أن المرض قد أصاب (9436) من المواشي ، وهناك خوف من انتشار المرض إلى الإنسان، وإن لجنة الأطباء البيطريين التابعة للسوق الأوربية المشتركة أعـلـنـت أنــه لا جدال في أن لحم البقر البريطاني غير صالح للاستهلاك، وقـد أعـلـنـت الحكومة الألمانية أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة في أوربا التي يوجد بها (مرض الجنون البقري) بسبب الوسائل غير الصحية التي تتبع في تحضير غذاء الماشية. اهـ

ديلي تلغراف 24/1/1990

تعليق :

الحقيقة أن سـبـب هـــذا المرض المنتشر هو طريقة التغذية التي تعتمد على غذاء حيواني يحتوي على أحشاء الأغـنـام الـمـيـتـة ، ولذلك منع هذا الغذاء ابتداء من يوليو 1988.

إن هؤلاء الغربيين لم يكتفوا بأن أفـسـدوا فـطـرتـهـم فـــأرادوا إفساد فطرة الحيوان أيضاً ، فالنباتات هي الغذاء الطبيعي لمثل هذه الحيوانات ، ولكن جشعهم المادي الذي لا حدود له والذي لا تقف أمامه أي نظرة إنسانية جعلهم يستخدمـــون أي وسيلة رخيصة لتسمين الحيوانات ، وقد حرم الإسلام أكل لحوم الحيوانات الـمـفـتـرسـة لحكم كثيرة ، جاء في صحيح سنن الترمذي عن جابر قال :"حرم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- - يعني يوم خـيـبـر - الحمر الإنسية ، ولحوم البغال ، وكل ذي ناب من السباع، وذي مخـلـب مـن الطير" (1).

فهل يريد هؤلاء تحويل الأبقار إلى آكلة لحوم ؟! وقد حدث في بريطانية حادثة تشبه هذه الحادثة، وهي أزمة البيض التي أدت إلى استقالة وزيرة الصحة، وإتـلاف الـمـلايـيـن من الـبـيـض بـسـبـب وجـــود جرثومة (السارمانيللا) وقد اتضح أن السبب في ذلك هو إطعام الدجاج غذاء ذا مصدر حـيـوانـي مـسـتـخـلـص من الدجاج الميت ولكنهم لا يعتبرون ولا يذكرون .

الهوامش:

1 - صحيح سنن الترمذي 2/83 تحقيق الألباني.

البيان الأدبي

النهاية

شعر : مروان كجك

مِنْ كُلِّ حَـدْبٍ أقـــبِلوا مِـنْ كـلِّ صَـوْبٍ عـجِّلوا
فَلَقَدْ دَنـا الـعـهـدُ الذي قالَ النبـيُّ سـيـحـصُــلُ
فالأرضُ نرقُب جمـعَـكم والـغـرقـدُ الـمـسـتـعجِلُ
والبَحرُ والسهلُ الفَســـِ ـيحُ وصَـعْـقَـةٌ لا تُـمْـهِلُ
لَـنْ تُفـلـتـوا مِن قَـبـضـةِ الأبـطـالِ لا لَـن تَـرحلَوا
فَـقـبـورُكـم فـي أرضِـنـا وهُـنـا الأمـانـي تُـقْـتَـلُ
لـم يحـمِـكـم غـدرٌ وَلَـمْ يَـشـفـعْ لـكـم مـا يُـبـذَلُ
فَـلأنـتـم أخـــزى مَـقـــامـاً فـي الـبَـرِيَّـةِ يُـنــزَلُ
وَلأنـتُـم أشـقـــى رهـــا ناً يـا يـهـودُ واضحَـــلُ
ولأنــتـــم نَـتّـنُ الـزمـــانْ وخُـبْـثُـهُ الـمـتَـــرذَلُ

مَهْـمـا عَـلَـوْتـُمْ يا أفاعي فَـالـسـقـوطُ مُــؤَمَّـــلُ
سُـدْتُـم غَـداةَ تـنـاثرت مـنّـا الـرُّؤى والـمِـشـعَــلُ
سُــدْتـُم غَـداةَ تفـيرت أردانُــنــا والـمـــوئِـــــلُ
وعَـلـوتُمُ ظـلـمـاً وعـدوا نــاً فَــسَـــــــادَ الأرْذَلُ
عُـمـلاؤكـم لَن يقـطـفـوا ثَــمَـــراً ولــن يُـستـَمهَلوا
خـانـوا الأمانةَ مِثَـلكم لـم يـأنـفُـوا أو يَـخْـجَـلـوا
بـاعـوا البلادَ وأرسلوا أثـمـانَـها لبُـنُوكِكُم فتأمَّلوا
لـم يـتـركوا اليـتـيـمةٍ إرثــاً ولا مَــا يُــحــمـــلُ
قالوا:الأمانة أن نبيــ ــعَ ونـشـتـري لا نُـسـأَلُ
فَـلَـقَدْ صَعِـدْنَـا للـكـــرا سـي والـرؤوسُ نُـجَـنْـدَلُ
ولـقـد سـكـرنـا والأمـاسي بالأضـاحــي حُــفَّـــلُ
لا لَن نـثـوبَ لـرُشـدْنا حـتـى تُـقَـطَّـعَ أرجُـــــلُ
لا لـن نـثـوبَ لـرُشدْنا حـتـى يـسـبـحً الأسـفــَلُ
إنّا عَلى العهدِ القـديم نَــصــونُـــــهُ وَنُــقَــبِّــــــلُ
إنَـا يـهــودٌ مـثــلُـهُـمْ لـكــنّــنـا نَـــتَــجَـــمَّـــلُ
يا جامع الشمل الشتيــت رمـالُــنـا تَـتَـمـلـمَـــلُ
عطشى، تَقَلَّبُ، تلتوي حـيـنـاً وحـيـنـاً نـــرحــــلُ
تـقــتانُ مـن لبَأ الـبشا رةِ، هــمُّـــهــــا الـمـستـقَـبلُ
فـلْـيـرفـعـوا رايـاتِـهـم فـوقَ الـرُّبــا ولْـيُـقْـبـلُــــوا
ولـيَـجْـمَـعُـوا أشـتـاتَهم مـن كــلْ صِـنــْفٍ يَـنْــسِـلُ
فـهُـنـا عَـلى بطـحائنا طِــفْـــلٌ يـشــدُّ ويـحـــمِــلُ
لـم تُـلـهـهِ قيـثارةُ الغو غــــــــاءِ أو مَــنْ يَــجْـهَلُ
مـيـثـاقُ وفـي قـلـــبـه والـلـحـنُ أصـدق أجـــمـــلُ
بـاعَ الطـفـولةَ بالـرجـو لةِ،لـــم يَـرُعـــْهُ المَـقْـــتَــلُ
وهــنـــا على بطـحائِـنا وعْـــدٌ صَــــدوقٌ صَـيـنــقَـــلُ
لابــدُ آتٍ يـــــــومُــــهُ والــــحـــقُّ لا يـتـــبــــدَّلُ
فـالله يُـمـهِـلُ مَنْ بـغى لَـكِــنَّـــه لا يُــهْـــمِـــــلُ
هـذا يــقــيــــنٌ صَــادقٌ إنــي لأقــــســـمُ ، مُــقــبِـلُ
فَـلـيـنـسـجُـوا أكـفانهم ولـيَـحْـمِــلُــوا مــا يُحْمَـلُ
وليُـقْـبـلـوُا بفـروعْـهـم وأصــولِـــهم ولـيَـدْخُـلـوا
فالمسجد الأقصى انتضى الـسـيـفَ الـذي لا يُـجْـهَـلُ
ونــوازعُ الإســــلامِ فـي كـــلّ الـقـلــوبِ نَـغَـلْـغَــــلُ
فَلْتُسْرِعوا بمـجـــيـئـكم حــانَ الـقِـطــافُ فـعـجّـلـوا
ولَقد دَنـا الـعـهـد الـذي قَـــال الـنـبي ســيـحـــصلُ
القاهرة

39-1-1990

ثغرة الأدب بين دعاة الإسلام وخصومه

يحيى محمد رسام

لا شك أن الصحوة الإسلامية وقفت في وجه خصومها ، وتصدت لكل الجبهات ، فأعادت للإسلام صفاءه وبـهـاءه ، كما أعادت للمسلمين اعتزازهم بدينهم ، ولكنها ولأسباب كثيرة نسيت أو تجاهلت ثـغـــرة لم تقدرها حق قدرها وظنت أنها سهلة هينة ، مع أنها عسيرة وخطيرة تلك هي ثغرة الأدب من شعر وقصة ورواية.. ونقد...

خطورة هذه الثغرة :

يمكن إدراك خطورة هذه الثغرة إذا ألقينا نظرة على ما يقوم به الأعداء من ناحيتها حيث استغلوها أيما استغلال ، وتسللوا من خلالها إلى عقول كـثـيـر من أبناء الإسلام وأذواقهم ، ويكفي أن تجول ببصرك في وسائل الإعلام التي تزخر بالأسمــاء (اللامـعـة) لمن يسمونهم الأدباء والمبدعين والنقاد ، بل يكفي لإدراك هذا أن تتأمل وبقليل من العمـق الواقع الثقافي والإعـلامي في البلاد الإسلامية ، فما من بلد إسلامي إلا وتصدر فيه عدد مـن المـجـــلات والصحـف ، مـن الفـصلية إلى اليومية التي تخصص كثيراً من صفحاتها لنشر إنتاج أولئك (المبدعين!!) على أنه الغذاء للعقول والأفكار ، ومن الإشادة بهؤلاء تصنع الطاقات وتشهر مع الأيام ويخدعون بها الناس.

وبعملية استقرائية بسيطة لعدد من تلك الصحف والمجلات في بلد عربي صغير المساحة قليل السكان متوسط المستوى الثقافي ، ندرك مدى العناية التي يوليها أولئك لهذه الثغرة.

الأدب وسيلة فاعلة ومؤثرة:

إن الـفـئــات الرافضة للإسلام يتوسلون لنشر أفكارهم المسمومة وإقناع الجماهير بمعتقداتهم بهذا الجانب من النشاط الفكري الإنساني وبما تعلموه من تجاربهم، وبتوجيه من أسيادهم اهـتـدوا إلـى هــذا الأسـلـــوب، وهو أن يتدثروا برداء الأدب، وعن طريقه وتحت مظلته يـسـتـطـيعون وبكل سهولة ودون معارضة أن يطرحوا أفكارهم وآراءهم ، ولا شك أن الأدب وسيلة نافذة وسـريعة ، وقوية التأثير في النفوس ، وهم لذلك لا يألون جهداً في تجنيد كل طاقاتهم في هذا الـسـبـيــل ، ويستخدمون الشعر والقصة والمسرحية وإن كان الذين يطلعون على هذا الإنتاج في هــذه المرحلة فئة محددة ، ولكن في المرحلة الثانية يأتي دور الناقد كشارح وموضح أو مروج لهذه النصوص الأدبية.

وقراء هذه المرحلة يزدادون نسبياً نـتـيـجة الإغراء الذي يقوم به الناقد والذي يخترع - في الغالب - للعمل الأدبي من الـخـصائص والميزات ما لم يخطر في بال صاحبه أصلاً . وهناك مرحلة ثالثة حيث يقوم الـنـاقــد بالإشارة أو ترشيح النص الأدبي لأداء دور أخطر وأعمق أثراً ، فإن كان النص قصيدة شعرية رشــحـها لتكون في منهج الأدب والبلاغة ، وإن كان النص مسرحية رشحها للتمثيل على خـشـبة المسرح ، وإن كان رواية رشحها لتكون فيلماً سينمائياً لأنها في نظره تعالج أمراضاً اجـتـمــاعــية وفيها أبعاد سياسية !! ويفعلون ذلك لعلمهم أن غالبية الجماهير لا زالت خارجة عن نطاق التأثر في المرحلتين السابقتين.

الإشارة بالرموز :

ثم انظر إلى الإصرار على إشارتهم برموزهم في كل حين ، وبمناسبة ودون مناسبة في الوقت الذي يتجاهلون فيه عن عمد كثيراً من الرواد الأصلاء ، ونضرب مثالاً واحداً لهذه الظاهرة بما يلقاه أمثال طه حسين من احتفاء وتكريم وإشادة به ويهمل أمثال أحمد حسن الزيات والرافعي والمازني وسيد قطب ومحمود محمد شاكر وغيرهم (1).

أخطر ميادين الصراع :

وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن موقف الإسلاميين من الأدب ، نحب أن نؤكد على أن هذا الميدان من ميادين الثقافة أحد أخطر ميادين الصراع بين الإسلام خصومه (2) وأن معركتنا مع أدبـــاء الحداثة وبقية المستغربين هي معركة سياسية عقائدية ، وهم من خلال الأدب والثقافة يوجهون أخطر طعناتهم لأعز ما تملك الأمة: عقيدتها وشريعتها.. فالعصر الأموي عندهم لا يزيد عن كونه عصر الأخطل وجرير والفرزدق وصراع القيسيين واليمانيين، وأما الـعـصـور العباسية فهي عصور ليالي الرشيد وأبي نواس والعباس بن الأحنف ، والجواري والمـغـنـيـــات ، وهم في نفس الوقت لا ينسون الإشادة بالحركات الباطنية وحركة الزنج والقرامطة وكل الشخصيات المنحرفة كميمون القداح وعلي بن الفضل ومنصور اليمن.. ويـتـفـاخــر بـعـضــهم بالانتساب إليهم فهذا يكتب (بسيف علي بن الفضل) والآخر يفخر بتوقيع مقدمات كتبه (حفيد بن الفضل) ، ويخرج أحد الشعراء في بلد صغير وفقير ثمانية دواوين شعرية متتالية ، كلها تحريض للمرأة على الخروج على أوامر الإسلام ، وسخرية بالعلماء الذين يهاجمونه، بل ينتقص من أحكام الأسرة في الإسلام ، ثم يقدم أديب مشهور أحد دواوينه (3) ويدعو الشباب لقراءة دواوينه ، فالشاعر في نظره عالج بشجاعة أخطر القضايا الاجتماعية.

دعاة الإسلام والإهمال المخل :

إذا كان شأن الأدب كما ذكرنا فما هي المساحة التي يحتلها في برامج وخطط أنصار الفكر الإسلامي من الشباب ، إن الجواب على ذلك ميسور ولا يحتاج

لكبير عناء ، فما علينا إلا أن نتصفح أدبيات الصحف والمجلات الإسلامية لندرك مدى الفقر الذي تعانيه في هذا الجانب ، فليس هناك مجلة واحدة على طول العالم الإسلامي وعرضه مخصصة لهذا الجانب ، وتكتفي المجلات الإسلامية بتخصيص صفحات محدودة لباب الأدب ، وإذا كان ذلك أمراً مؤلماً للنفس ، ويدعو للأسى ، فإن الأكثر إيلاماً هو عدم اهتمام المشرفين على أبواب الأدب بالمشاركات الأدبية التي يرسلها القراء وعدم تشجيعهم الناشئة. فأنى بعد ذلك للأدباء الإسلاميين أن يبدعوا وأنى للمواهب الشابة أن تنمو وتتطور؟ وهل ننتظر أن تنشر لهم مجلات العلمانيين الذين يخصصون المجلات الكبيرة لنشر المقالات الطويلة والبحوث المعمقة والقصائد الحديثة ، وهكذا يظهر جليًّا مدى الخلل الذي أصاب هذا الجانب ومدى الإغفال الذي لقيه عند المسلمين.

من أين جاء الخلل؟ :

هل جاء الخلل من جهة سوء الفهم لدى البعض لموقف الإسلام من الشعر أساساً؟ والجواب أن هذا احتمال وارد؛ بل وقوي وله ما يفسره، فرغم ما كتب عن صلة الأدب بالإسلام إلا أن غيوماً من دعايات وشبهات أعداء الإسلام حول هذه القضية تركت آثارها في النفوس ، ويمكن ملاحظة أعراض ذلك القصور،من خلال ملاحظة أن كثيراً من النابهين من أصحاب الـتـخـصـصـات العلـمـيـة في الأصل،لم يتجهوا إلى الدراسات الأدبية عندما أرادوا خدمـة الإسلام بالدراسات غير العلمية ، وكثيراً من الدعاة الذين كان لهم مساهمات أدبية جيدة في بداية حياتهم انصرفوا عن الأدب والشعر ، وكأن ذلك يزري بهم ، فإذا كان ذلك هو حال من يفترض فيهم أنهم الموجهون لسير الدعوة فكيف غيرهم؟ وهنا لا بد أن نسأل ما مدى صحة وسلامة هذا الموقف؟ لنرى أولاً ما هو موقف الكتاب والسنة في الشعر والأدب بشكل عام.

موقف القرآن والسنة من الشعر والأدب :

قال تعالى عن الشعراء:
((والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ ، وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ، إلاَّ الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وسَيَعْلَمُ الَذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ))
وإذاً فهذا هو القرآن الكريم، قد هــاجــم بـعـنـف الشعراء المناوئين للدعوة الإسلامية وشنع عليهم ، وفي الـوقــت نـفـســـه أشاد بالشعراء المؤمنين ، وأشار إلى أوصافهم وأنهم يعملون الصالحات ويذكرون الله كثيراً وينتصرون بعد ما ظلموا ، وأنهم لا بد أن يقوموا بواجب الجهاد بالكلمة.
وأما موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- فـقـد كــان يحرض ويشجع من يرى فيهم ملكة الشعر لمواجهة الشعراء المحاربين للدعوة الإســلامــية والأحاديث كثيرة في حض وتشجيع حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم ، الذين كانت ألسنتهم سيوفاً حادة في وجوه الكافرين

ويدعو الرسول -صلى الله عليه وسلم- لـبـعـضــهــم بأن يؤيده روح القدس إذا هو هجا الكفار.
وإذا كان ذلك هو موقف القرآن والسنة وموقف الصحابة من الشعر والشعراء ، فقد يقال : فماذا عن بقية عناصر الأدب كالقصص والأمثال؟ واتباع الأســالــيــب البلاغية والبيانية؟ فنقول : أما استخدام القرآن للقصة كأسلوب مؤثر وفعال في تبليغ الدعوة وغرس المفاهيم وتحليل مواقف أعداء الدعوة الظاهرة وصلتها بدخائلهم فذلك واضح لا يحتاج لبيان ، بل إن أسلوب بعض القصص الـقــرآني فـيـــه كل عناصر القصة من عناصر التشويق وتصوير الشخوص واستخدام الحوار وحل الـعـقـــدة فـي النهاية وانتصار الخير دائماً مثل قصة (يوسف) عليه السلام. وكذلك استخدام القرآن للأمثال وهو من ألوان الأدب.
وقد أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأن يعظ الكافرين ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً. والدعاة في كل عصر مأمورون بما أمر به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن تأثير من له صلة بالأدب لأعمق وأبلغ في نفوس الجماهير ممن لا حظ له في ذلك ، بل إننا نرى أن الجفاف في أسلوب بعض الدعاة من أسباب إعراض بعض الناس عنهم ، يقول الأستاذ محمد قطب :
"إن الأدب لا بد أن يكون في خدمة الدعوة، فـإن أعـداءنــا يسـتـخـدمـونـه ضد الإسـلام وأخلاقياته ، وإن الآداب من أقوى الوسائل التي إن استخدمناها نكون قــد أديـنـا واجباً مهماً".
يعتبر الأستاذ أبو الحسن الندوي أن الأدب من أقوى العوامل في (الإفساد) أو (الإصلاح) ولذلك لا يجوز أن نفصل بين الأدب والأخلاق .

الهوامش:

1- وأخيراً حصل صبي المبشرين لويس عوض على جائزة الدولة التقديرية في مصر.
2 - انظر: محمود شاكر: أباطيل وأسمار.
3 - الشاعر هو الشرفي والأديب هو الدكتور المقالح.

قصة قصيرة

العقوق

خولة درويش

يا لفرحة (أم نديم) وهي ترى عروس ابـنـهـــا الجميلة (سها) تزف له ، إنها فرحة طالما انتظرتها لتجبر قلبها الكسير ، ولتأسو جراح نفـسـهـا المكلومة ، ويا لسرورها وهنائها! ها هو ابنها تكتمل رجولته إذ يعمر بيت والده (الـمـرحوم

خالد) فتسعد بذلك كما سعدت يوم تخرج من كلية الهندسة وعين في إحدى الشركات الكبرى ، فتركت مهنة الخياطة التي ما كانت لتعمل بها لولا الحاجة ، كانت تمضي سـحـابــة يومها في استقبال زبائنها من الراغبات في الأناقة ، وتسهر جل ليلها خلف ماكينة الـخـيـاطـــة لتـؤمـن لعيالها الحياة الهانئة الكريمة بعيداً عن الحاجة ، تتطلع إلى أملها الكبير (نديم) ليحمل عـنـهـا أعـبــاء أضـحـت تـنـوء بحملها ، وهي على أبواب شيخوخة مبكرة جلبها كدح النهار وهمِّ الليالي لإعالة أيتام ، وتأمين الحياة الكريمة لهم بعيداً عن العوز والفاقة.

لكن صاحـبـاتها ممن يـعـرفن (سـهــا) المعرفة الحقة كان يحدوهن تفاؤل حذر إلى تحفظ في الفرح والسرور ، وما منعهن الإقدام عـلـى نصيحتها إلا الخوف من أن يتهمن بالغيرة ذلك أن جمال (سها) البارع قد ملك على (أم نديم) قـلـبـهــا بل وعقلها أيضاً ، ولم تدر أن هذا الجمال لم يورث (سها) إلا غطرسة وكبراً بل وتسلطاً في الرأي يلمسه كل من يعاشرها..

ومنذ أن اقترنت بـ (الأستاذ نديم) أضافت إلى سلطانها وجبروتها عش الزوجية الجديد. فأضحت رغباتها أوامر عند أفراد الأسرة جميعاً وأصبح زوجـهــا لا يتوانى عن تنفيذ ما تحب أياً كان ذلك... وإن حدث التواني أو التأجيل .. فلا اعتذار يقبل ، بل ينطلق السخط من فمها فيحول المنزل إلى جحيم لا يطاق.

وكان الجميع يطلب لنفسه السلامة برضاها ، وعمل ما يروق لها ، فهل ترضى؟! لا زلت أذكر يوم كانت (سها) تشكو حب ابنتها (سلوى) لجدتها وعماتها وبرها لهم وتعلقها بهم.

وعندما قلت لها سائلة ومقربة بين وجهات النظر :

- وماذا في برها بجدتها وقربها من عماتها؟! أوليـس ذلك ممـا يـفـــرح الأم؟ إن من يبر جدته ويحسن إلى عمته قادر أن يكون أكثر إحساناً إلى أمه...

ولكن هيـهـــات أن تقـتـنـع (سها) أو ترضى بهذه الأقوال..

لقد حجب هواها الجامح جمال الحقيقة ، فما وجدت منه إلا النفور ، لقد امتقع وجهها وهي تقول :

- لا ليس كل الناس سواء ، هؤلاء كالثعابين التي تقذف بالسم ، إنهم أعداء بثياب الأهل والأقارب.

ويجمح بها الانفعال فتتابع الكلمات تتدفق من فمها:

- يكفي المرارة التي جرعوني إياها عن طريق ابنهم ووساوسهم له ، أيريدون أن يذيقوني الويل من أولادي أيضاً ؟!

وأرادت أن تختصر الحديث فهبت واقفة وهي تتوعد بأمر لا ترعوي عن إظهاره .

- والله لن أدع لهم مكاناً في بيتي... فإما أنا أو هم ، وليعمل ابنهم ما يشاء ، فمنزل أهلي يسعني...

ويأتي الزوج.. ويحتدم النقاش ، ويخونه بيانه ومنطقه ، ولم تسعفه أية حجة حتى قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "بروا آباءكم تبركم أبناؤكم".
لامس حسها الغليظ فما وجد منها غير التبلد واللامبالاة والإصرار على موقفها المشين. فما كـــان مـــن الزوج الذي اعتاد الانصياع لزوجته المتسلطة إلا أن رضخ لرغبتها ، ورأى أن والدته برحابة صدرها ، أكثر تقديراً للأمور من زوجته.
فقرر مفاتحة الأم الرؤوم ، وقال لها بصوت كسير حزين :
- عزيز علي أن أقول لك يا خير أم،أنني ابنك البار بك، والذي يفديك بالغالي والرخيص ... ويسود صمت ثقيل ، فالموقف الجلل يمنع الكلمات المتعثرة من أن تظهر ، فتغوص في أعماق حنجرته.
ونظرات الأم الحائرة ترمقه في دهشة وتساؤل.
ثم يكمل وقد غلبت عليه الأثرة قائلاً :
- إن (سها) قد أتعبتني ، وتجد أن لا حق لأحد في زوجها وبيتها ، فماذا أعمل؟! وبين دهشة الأم وحسرتها ، سالت دمعة أسـيـفـــة من عينيها ، وفي بساطة تعسة قالت بتسليم حزين :
- اعمل ما تريد ، أما أنا وأخواتك فنفوض أمرنا إلى الله ..
ثم خرجت وبناتها من البيت... وفي نفسها تعتلج المشاعر الأليمة ، والضيق المكتوم و(سها) تشيعها بابتسامة تحكي قسوتها وفظاعتها ، وتخلو من كل معاني الإنسانية.
.. وعاشت الأم حياة بائسة قد لا تصل إلى حد الكفاف ... وهي التي لا تـفـتــأ تسمع عن حفلات ابنها وولائمه ، ونفسها تتوق إلى لقمة طعام من كده وسعيه ، فلا تلقى إلا صدقات بعض المحسنين الذي يرجون ثواب الله في إعطاء الصدقة للمتعففين من ذوي الحاجات ، أمثالها!
فما أشق ذلك على النفس التي ما اعتادت الاستخذاء ، لكنه السن والحاجة!!
وأما (سها) فهل وجدت السعادة التي كانت تنشدها؟!
أم هل أصبحت التطلعات المبتذلة هي مقياس السعادة؟!
ها هو البيت قد فرغ لها ، ففرحت وفرح أهلها ، إذ خلا المنزل فما ينغصهم أحد ، كما سول لهم عقلهم القاصر ، وما دروا أن البر وصلة الرحم توسع الرزق وتسعد العيش !!
ويتحامل (نديم) على نفسه ويرحب بهم فيزيد ذلك من غبطتهم.. ثم لا يلبث أن ينـقـلـب الترحيب إلى تجهم وكدر ، ويبلغ الأمر حدة عندما أعلن موقفه بوضوح ، وقـــد شعر أنه الذلـيـل في بيته ، الجريح في رجولته ، وأصر على عودة أهله (والدته وأخواته) الذين لا معيل لهم غيره ، ليشاركوه النعم التي أنعم الله بها عليه.
ولكن أنى توافق (سها) على ذلك؟! وهي التي ترفض حتى الكلمة الطيبة من ابنتها لهم... إن الغيرة قـد أكلت قـلبها. والهواجس الخبيثة قد أفسدت عيشها

، فما تطيق أن ترى زوجها يسر لهم بحديث، أو يبادلهم الابتسام أو حتى الهموم، وتـصـر علـى الـرفـض... وتـضـحـي بأهلها عندما أعلنتها بعنجهية بعد جدل طويل :

-إن كان يروق لك بعدي عن أهلي فمن الآن فصاعداً لن أجعل أحد منهم يأتي لبيتك ، فلا أهلي ولا أهلك ، هل أعجبك ذلك؟!

فيرد وقد تخاذل أمامها كعادته :

- نعم أعجبني.

ويوصد بيت العقوق أبوابه أمام أهل كل من الزوجين ، ويكتفيان بأنفسهما وقرنائهما ...

وتمر الأيام والسنون ... ويـحـين موعد زفاف ابنتهم (سلوى) ويجد الأستاذ (نديم) أن هذه فرصته كي يشعر بحقه الطبـيـعـي فـي القوامة على المنزل ورئاسة الأسرة. وأن يظهر أمام أصهاره بالمظهر اللائق كرجل يحترم نفسه. ودون استشارة حرمه (سها) دعا أهله لحضور الفرح كما دعا أهل زوجته أيضاً .. وهكذا .. أصبح عرس (سلوى) الفرح الذي وارى جراح أقاربها ولمَّ شعث أهلها ..

وسادت الحياة طبيعية ، لولا نذر الانتكاس التي كانت تظهر بين الحين والآخر فيعالجها نديم بصبره الدءوب وإصراره العنيد على عدم التفريط بوشائج القربى وصلة الأرحام.

وأنـــا اليوم وبعد سنوات قليلة من هذا الزواج ، أرى (سها) - ولأول مرة - في انهيار مريع تبكي بـمـرارة وحرقة ما أسبغته على ابنتها (سلوى) من رفاه وما تلقى منها من الجحود.

فيبلغ بها الانـهـيـــار مداه وقد أسقط في يدها فتغطي وجهها بكلتا يديها وتنشج كالطفلة الصغيرة وهي تكوم جسدها الكليل على إحدى الأرائك، تنتحب من أعماق فؤادها المكلوم، وكلمات لا تكاد تبين تخرج من بين شهقاتها:

- آه من سلوى! قد صار لزوجها بيت ولا يأذن لي بدخوله!!

يا لها من عاقة ، عاقة لا خير فيها ، جحودة منكرة للجميل! ويزداد تشنجها ، عندما يمر أمام مخيلتها، شريط جحودها هي لفضل أهلها وحقوق زوجها وأهله... وكأنها تقول: ألا ما أشبه الليلة بالبارحة ، ومن جرع غيره كأس العلقم احتساه بما قدمت يداه .

من عيون الشعر

حنين إلى الوطن

قال أبو العلاء وهو في بغداد يحن إلى موطنه في الشام :

1- أإخـوانـنا بـيـن الـفـرات وجِـلَّـق يــد الله لا خـبَّـرتُــكم بـــمـحال
2- أنـبـئـكـم أنـي عـلـى العهد سالم ووجـهــي لما يـبـتـذل بـســـؤال
3- وأنـي تيمَّـمـت الـعـراق لـغـير ما تــيـمـمه غـــيـــلانُ عـنـد بلال
4- فأصبحت محسوداً بفضلي وحدَهُ عـــلـى بـعـد أنـصـاري وقلة مالي
5- ندمت على أرض العـواصم بعدما غدوت بها في الـســوم غـير مُغَال
6- ومن دونها يومٌ من الشمس عاطلٌ ولـيــل بـأطــراف الأسـنـة حال
7- وشــعـث مداريها الصوارم والقنا ولـيـــس لـهـا إلا الـكـمــاة فـوالِ
8- أروح فـلا أخـشـى المـنايـا وأتقي تـدنُّـس عـرض أو ذمـيـم فـعــالِ
9- إذا مـا حـبالٌ من خليلٍ تصرمـت عـلـقـت بـخـلٍ غـــيـره بحـبـال
10- ولـو أنـني فـي هالةِ البدر قاعدٌ لـمـا هـاب يـومـي رفـعتي وجلالي

الشرح :

1- يد الله : قسم ، أي أحلف بيد الله لا خبرتكم إلا بيقين.
2- وجهي لما يبتذل بسؤال : لم أهن وجهي بسؤال أحد من ماله.
3- قصدت العراق استزادة للعلم لا لمدح أحد ونيل مكافأة كما كان يفعل غيلان بن عقبة (ذو الرمة) في قصده بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وكان والياً على البصرة، لمدحه ونيل نواله.
4- هذا بيت في الفخر ، أي أصبح الناس يحسدونني على فضلي مع قلة مالي وبعدي عن أنصاري.
5- ندمت على أرض العواصم : ندمت على مفارقة أرض العواصم وهي المنطقة التي فيها بلدته (معرة النعمان).
6- يوم عاطل من الشمس : لا تظهر فيه الشمس لكثرة الغبار. وليل حال بأطراف الأسنة: مزدان ببريق أطراف الرماح وهو هنا يشير إلى أن البلاد بين العراق والشام في تلك الفترة كانت غير مستقرة ، تشتعل فيها الحروب والفتن.
7- الـشـعـث: جـــمـــع أشــعـث وهو الذي لا يتعهد شعره بالغسل والترجيل. والمداري: الأمشاط، لما وصفهم بأنهم شعث جعل السيوف والرماح التي تعمل في رءوسهم في المعارك كالمداري.
8- لا يخاف المنايا بل يخشى الفعال المذموم وما يدنس العرض ، وهذا كقول أبي الطيب:
يهون علينا أن تصاب جسومنا وتـسـلـم أعــراض لـنـا وعـقــول
9- تصرمت : تقطعت.
10- الهالة : الدارة التي ترى حول البدر إذا حال دونه غيم ، أي لو كنت في هذا المكان المرتفع لجاءتني منيتي ولما هابتني من أجل جلالي ورفعتي.

شئون العالم الإسلامي ومشكلاته

زلزلة العقيدة أولاً ثم تنهدم الأسوار
أساليب حملات التنصير في أندونيسيا

"نجمبسان" قرية نائية مـهـمـلــة تقع على سفح جبل ميرابي في مقاطعة سليمان فـي إقليم بوغي جاكرتا ، وتمثل نموذجاً للـقـريـة الأنـدنـوسـيـة مـن حـيـث ارتـفـاع عـــدد السكان وصلاحيتها كمرتع للبعثات التبشيرية.

لـقـد كــانت مـفـاجـأة سارة لأهل القرية عندما زارهم في أحد الأيام رجل وامرأة من العرق الأبيض برفقة أناس مـن أهـالـي الـبـلـد . جــاءوا محملين بالهدايا؛ أرز ، سكر ، ملابس مستعملة للصغار والكبار ، بل حتى الأدوية الـطـبـيـة التي كان لها نتائج سحرية. ما أشد جهل هؤلاء القرويين المساكين!! حيث لا يعرفون كـيـف يـتـاجر أصـحـــاب الأدوية هؤلاء بأدويتهم ، وكيف أصبحت الدول النامية أمكنة تصريف لما لا تبيح قوانين الدول المتقدمة توزيعه من الأدوية.

ويتخذ الرجال مواضعهم حول هذه الخيرات بينما النساء الخجولات ينظرن إلى الفساتين المطرزة وهي تخرج من الصناديق ، ويتعجبن من أخوات لهن يلبسن هذه الملابس الخفيفة التي لا تكاد تستر الأجساد! ويقبل من بعيد طفل عليه مظاهر الشغب فيرتدي لباساً واسعاً ، ويختال فيه فينفجر الحاضرون بالضحك على هذا المنظر الطريف ، فيتعثر الطفل بسيره ويسقط على الأرض فتهرع الأم نحوه وتصفعه على خده ، فيرتبك ويـبـكي ، ويعتكر الجو بعض الشيء.

يدخل شيخ القـبـيـلـة، وقــد كان يراقب الموقف من بعيد، ثم يطلب من الجميع الالتزام بالنظام ، ويسأل : ماذا يحــدث هـنـا ؟ فيقوم أحد البيض فيرحب به باللغة المحلية ، ويقدم له رسالة توصية من المشرف العام، وضعت في ظرف كبير. يأخذ شيخ القبيلة الظرف ويتحسس لفائف الورق بداخله ويضعه في جيبه ، فهو أمي!

لقد أنجز نصف المهمة! وقرر هؤلاء الزوار الكرماء الرحماء البقاء في القرية البائسة لإنقاذها من مصيرها الأسود !!

أيتها السيدات! هذا مال افتتحن به دكاكين على جوانب الطرق! لستن ملزمات بشيء! أليس بيع الأطعمة والدخان والعلكة يدعـم دخــل الـعـائـلـة ويرفـــع مـن مـسـتـوى الدخل القومي؟! وكيف تنهض أمة إذا كان نصف مواطنيها عاطلاً عن العمل ، مهدراً وقته وقوته في عمل البيت والعناية بالأطفال؟!

وأنتم أيها الفلاحين هذه بذور من نوع جيد ، وهذه أدوات زراعية حديثة ، وهذه أسمدة ومبيدات حشرية.. مجاناً.. بدون مقابل! فضاعفوا منتجاتكم الزراعية ، وطوروا أساليبكم الزراعية! يا أهل القرية : إن أرضكم لا تفي بحاجاتكم

الضرورية. ولذلك فـهـذه أبـقــار وأغـنـام استثمروها ، فهي منيحة لكم ، ليس عليكم إلا أن تعيدوا لنا ما تلده ، أما ما تبقى مـــن فوائدها فهو لكم ، فاحملوا عليها ، واحلبوا. وحتى إذا أرجعتم إلينا ما تلده هذه الماشية فهي منكم وإليكم ، ستكون وقفاً مشتركاً على أهل القرية ، وربما أعدناها إليكم ثانية ، كل ذلك مجاناً وبدون مقابل!

لكن، حاجة من عاش لا تنقـضي! وكلما اعتمد أحد على غيره بحاجاته الضرورية فسوف يصبح رهينة في يديه خوفاً من انقطاع هذه الحاجات ، ولذلك فهو مستعد لكل شيء يطلبه ولي النعمة من أجل الإبقاء على الامتيازات التي جاءت عن طريقه!

خدمـــات كثيرة لا حصر لها تقدم لأهل هذه القرى المسكينة؛ دورات مجانية لتعليم طرق الزراعة،النجارة، الخياطة ، تصليح السيارات وأجهزة الراديو ، اللغة الإنكليزية ، حتى الرقص! والذين يـشـتـركـون في هذه الدورات ليسوا كلهم مسلمين ، فأصول اللعبة تقتضي إبعاد الشبهات والتـغـطـية! لكن سواء شارك مسلمون أو غير مسلمين (من بوذيين ووثنيين) فعلى الجميع حضور دورة في النصرانية.

الأيام تمر ، والخدمات تزداد ، وتتسع دائرتها ، فإذا ما احتاج أحد من أهل القرية أن يـرمـم بيته فما عليه إلا أن يقصد شيخ القرية الذي تحول إلى مسئول مهم في مجال تقديم المساعدات!

أما الــشــبـاب الذين ينهون الدراسة المتوسطة أو الثانوية ولا يستطيعون مواصلة دراستهم العليا ، وهم بمـسـيس الحاجة إلى مهنة أو عمل ، يجد الواحد منهم الفرصة هنا مفتوحة أمامه للعمل كبائع في محل يملكه نصراني، أو كمعلم في مدارس البعثات التبشيرية. وهؤلاء جـمـاعـة منهم قد قبلوا مراسيم "التعميد" وآخرون يتهيئون للحاق بهم ، ومن يرفض ذلك تسحب منه وظيفته.

إن الناس في المجتمعات الفقيرة غـالـبــاً ما يكونون بحاجة ملحة للمال ، وقد حلت هذه المشكلة هنا بإقامة جمعيات قروض ائـتـمـانـية. وتمنح هذه الجمعيات قروضاً بشروط سهلة، وليس عليك أن تسأل من أين تأتي هذه الأموال؟. والشخص المعمد مؤهل لقروض إضافية ، بل يعفى فيما بعد من التسديد! ولا تـجـد من هـــؤلاء الـزوار سوى الضحك والمزاح ولقمة العيش ، ونادراً ما يتحدثون في أمور تخص الدين أو الفكر. ومع ذلك فإن الأهالي تواقون لمعرفة حقيقة هؤلاء الناس اللطفاء ، وماذا يدفعهم لمساعدتهم؟.

فيجيب الزوار : إننا خدم عيسى اليسوع، وهذه الهدايا التي أتينا بها هي منه عليه السلام، وهنا يجيب أهل القرية عيسى؟ نعم نعم إننا نعرف عيسى ونحترمه ونعزه. فيسألهم الزوار ، ألا تعتقدون أنكم في تـحـسـن أحـوالـكـم مدينون للهدايا التي أرسلها عيسى لكم؟! لا يستطيع أهل القرية نفي نصف

الحقيقة هذه! ولو انبرى من يناقش الفكرة الخاطئة التي انطوى عليها هذا الجواب فإنه يسكت من أكثر من جهة بأن يقال له: إن كل الأديان جيدة، وكل المؤمنين سيدخلون الجنة، وقد يستثار المسلم بين الفينة والأخرى ولكنه يعود فيعتقد أن هذا الأبيض منصف؟ ألم يسو بين الدينين؟!

وبالجملة فإن القاعدة الأساسية في هذا المجال هي : البحث عن الضعيف والانتهازي ، وعدم الدخول في جدل مع من يفهم دينه. وثمة أسلوب آخر مع رجل الشارع كأن يقال له إن الإسلام دين صعب الاتباع! حيث عليك أن تستيقظ مبكراً في الصباح لتأدية الصلاة ، ثم تكرر ذلك أربع مرات أخرى في اليوم منذ سن الرشد وحتى الموت. أما في النصرانية فلا شيء ينغص عليك نومك ، ولا تعاني من ذلك النظام الصارم الذي عليك الالتزام به خمس مرات في اليوم وعلى مدى الحياة.

وكل ما هو مطلوب منك هو المجيء إلى الكنيسة مرة في الأسبوع وذلك في يوم الأحد ، وبذلك لا حاجة إلى ترك عملك ، والإسراع إلى صلاة الجمعة ، فيوم الأحد عطلة في جميع أنحاء العالم ، (وهذا إثبات آخر على أن النصرانية دين حق) كما أن المهمات التي يطلبها الرب في الإسلام صعبة للغاية ، في حين أن ربنا رب حنون.

وهكذا فإن البعثات التبشيرية لا تعتمد في عملها على الخبز وحده فالشيء الذي لا يتحقق عن طريق الخبز يتحقق عن طريق المناهج الثقافية ، والعكس صحيح.

وهناك شبكة من مدارس البعثات التبشيرية أنشئت منذ زمن بعيد ، مهمتها إعداد جميع القيادات المستقبلية للمجتمع الإسلامي ، فالمدرسة التي يقوم على إدارتها البيض في منطقة "كامبونغ" تتمتع بمنزلة رفيعة قد تفتقدها أرقى المدارس في أوربا. وفي مدرسة "كامبونغ" على كل طالب أخذ دروس في النصرانية واجتياز اختبارات فيها. وقد تأثر بعض الطلاب بهذه المناهج في حين تم تعميد أعداد منهم ، أما الأغلبية فقد باتت في منأى عن دينها الأصلي ، وينتقى الشباب الذين تسهل قولبتهم - ذكوراً وإناثاً على حد سواء - وذلك منذ المراحل الأولى ، وإعدادهم لتسلم مناصب قيادية مستقبلية ، وتتبع المناهج التعليمية عادة بأفلام سينمائية وإن عرض فيلم سينمائي في قرية - بغض النظر عن محتواه وأهدافه - يعتبر حدثاً عظيماً مثيراً للفضول ، فيأتي أهل القرية زرافات ووحداناً ليشهدوا الفيلم ويتشبعوا برسالته اللطيفة! وقد تكون هناك بعض اللقطات غير اللطيفة التي قد تستثير الناس بعض الشيء ، وإذا ما حدث ذلك وأراد بعضهم أن يحتج ويمشي باحتجاجه إلى آخر الشوط فإن شيخ القرية (الذي عرفت عقدة النقص عنده مسبقاً وهي الشره إلى المال) مكلف بقطع الطريق على مثل هذه الحالة!

ويعقب عرض الفيلم احتفالات دينية ، ومن يحتج أو يطلب من الآخرين عدم المشاركة في هذه الاحتفالات التبشيرية فقد يتهم بالتعصب! ومن ثم يتعرض لمضايقات من قبل الجهات الرسمية! وإحدى نتائج عروض الأفلام والاحتفالات هذه هي ظهور الأندية ، ويشجع الشباب ذكوراً وإناثاً على الاختلاط وهذه هي بعض الحوادث تقع ، والأواصر الأخلاقية والثقافية تضعف ، وكثيراً ما يبلغ عن حوادث زواج بين مسلمات ونصارى عن طريق علاقات الصداقة الناشئة في الأندية ، إلا أن أعظم إنجاز حققته هذه الحملة هو انتزاع الروح الإسلامية ، وأصبح بإمكان الغزاة التحرك في كل الاتجاهات بعد أن انهدمت الأسوار أمامهم! وأصبح إنشاء الكنائس يفرض فرضاً على قرى منتخبة ، وغالباً دون حاجة لإذن مسبق من وزارتي الداخلية والشئون الدينية. أما في الأماكن التي يخشى وقوع معارضة خطيرة فيها من قبل السكان فيلجأ إلى أبنية عادية أولاً ثم يعدل الغرض من استعمالها تدريجياً وبهدوء من سكن إلى كنيسة ، وأخيراً ترتفع لافتة مشيرة إلى وجود كنيسة في المنطقة!

وهناك طريق أخرى أشد مكراً لزرع الكنائس في المناطق الإسلامية الخالصة وذلك باستغلال خطط الحكومة الأندونيسية في نقل السكان من المناطق المزدحمة إلى مناطق أقل ازدحاماً ، فإذا كان هناك مناطق لا تستقبل إلا مسلمين بين سكانها؛ فلا مشكلة في ذلك عند النصارى ، حيث يطلب منهم التسجيل كمسلمين بغرض التسرب إلى تلك المناطق ، وما إن يستقروا هناك حتى يكشفوا عن وجههم الحقيقي ، ويشرعوا في بناء الكنائس.

ولا تقتصر الخدمات التي تقدمها هذه البعثات على معالجة المرضى ورعايتهم بل تمتد إلى ما وراء ذلك بكثير. فإذا أدخل مسلم في إحدى مستشفيات البعثات؛ أو أنه تلقى علاجاً من قبلهم فإنه يشجع ويحث على أن يكون دخوله في النصرانية هو الطريقة المثلى للرد على هذا الجميل الذي يتلقاه منهم ، وإذا كان من المتعذر إنقاذ حياة المريض فإن البعثة تتعهد بدفع الديون المستحقة على ذويه ورعايتهم بعد وفاته ، وأكثر من ذلك فإنهم قد يدفنونه على نفقتهم بشرط أن يكون الدفن حسب الطقوس المسيحية ، وهذا يحقق مقولة: "نصراني ميت خير من مسلم حي"!

وعلى الرغم من كل أساليب الترغيب المتاحة من قبل هؤلاء المبشرين؛ من طعام وشراب ، وكلمات مؤثرة وغير ذلك إلا أن ثقتهم ضعيفة بأساليبهم وإنجازاتهم ، فعلى الرغم من أن الإسلام شيء سيئ (في نظرهم) إلا أنه لا يبدو أن استخدام شعاراته ومصطلحاته أمر سيئ ! حيث نرى النصارى يرددون كلمة: عيسى اليسوع.. عيسى اليسوع.. بالطريقة نفسها التي يردد فيها المسلمون كلمة التوحيد : لا إله إلا الله. بل إن النصارى الكاثوليك يقومون في بعض المناطق بتنظيم صلاة جمعة وذلك لمنافسة صلاة الجمعة عند المسلمين. وفي كثير من الأماكن يرتدي المبشرون الطاقية الأندونيسية التي

يتميز بها المسلمون ، ويحيون الناس بـ (السلام عليكم) ويتجولون هنا وهناك متظاهرين بأنهم مسلمين.

وعندما يثير قادة المسلمين الأندونيسيين حججاً دينية في شكواهم للبابا حول سلوك وتصرفات المبشرين المتبعة بين المسلمين فإنهم يقحمون أنفسهم في جدل ديني لا ينتهي ولا ينحسم ، والأجدر بهم أن يلجئوا إلى القوانين والأعراف التجارية المعتمدة في السوق المشتركة ، التي تنص على أن بيع سلعة مزيفة تحت علامة مسروقة أو منتحلة يعتبر جريمة .

العام	مسلمون	بروتستانت	كاثوليك
1945	95.0	-	-
1971	87.5	5.1	2.3
1980	87.1	5.8	3.0
1985	86.9	6.5	3.1

تناقص نسبة المسلمين في أندونيسيا (8%)

عن مجلة إمباكت انترناشنال 21/12/1989 .

أحداث أوربا الشرقية والصحوة الإسلامية

د. غازي الخطيب

إن أحداث أوربا الشرقية المتسارعة والتغييرات في المعسكر الـشـيـوعـي بشـكـل عام، لهي خطوة إلى الأمام على طريق الصحوة الإسلامية وتحدٍ جديد في أفق مستقبلها.

فهي خطوة إلى الأمام للأسباب التالية :

1 - ازدادت الحركة الإسلامية قرباً من جماهيرها. فللصحوة الإسلامية طرفان :

الحركة الإسلامية رائدة صحوتها، والجـمـاهـيـر محقـقـة أهدافها. فالحركة الإسلامية في معزل عن الجماهير لا تستطيع أن تحقق آمالها. وكلما تعمق التفاعل فيما بين طرفي الصحوة الإسلامية ، ازدادت فعاليتها.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبحت الساحة الإسـلامـيـة مـسـرح تجارب للتيارات غير الإسلامية ، ولاقت الشيوعية ومشتقاتها بشكل خاص، رواجاً بين عامة الناس ، ممن جهل حقيقتها ، بدعوى مناهضة الرأسمالية.

أما الحركة الإسلامية وغيرها من الأفراد والجماعات العالـمـة بحقائق الأمور ، فالشيوعية كانت مبدأ فاسداً منذ البداية ومفلساً منذ إنشاء دولتها في روسيا . فمن المعلوم أن الشيوعية كان من المفروض أن تطبق في أعقاب فشل الرأسمالية ، وظروف روسيا آنئذ وحالياً هي أبعد ما تكون عن ذلك ، وقد نجحت الحركة الإسلامية في تغيير مـفـاهـيـم أفراد وقطاعات من الـشـعـب عبر مناقشات السجون وصفحات المجلات والكتب . أمـا عمـوم الـناس ، فـقـد اسـتـمـرت خاضـعـة للـتـأثـيـر الخادع للدعايات الوهاجة والمغرضة للشيوعية ومشتقاتها .
وما يحصل الآن على الساحة الأوربية، أن تلك الشعوب استجابت لدواعي فـطـرتـهـا، ونبذت الشيوعية وراء ظهورها ، وأعلنت إفلاس المبدأ من داخل ذاتها ، وانطبق عليها تـشـخـيـص عمرو بن العاص قبل أربعة عشر قرناً من الزمان في تعقيب له على حديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:»تقوم الساعة والروم أكثر الناس« الوارد في صحيح مسلم، قــال:»لئن قلت ذلك ، إن فيهم لخصالاً أربع : إنهم لأحلمهم عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بـعـد مصيبة ، وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف.وخامسة حسنة جميلة:وأمنعهم من ظلم الملوك « وعلى الساحة الإسلامية تساوي العالم بحقيقة الشيوعية والجاهل بها في الحكم عليها ، واتحدت المواقف منها بين الحركة الإسلامية والجماهير..
2 - وفرت الحركة الإسلامية جهوداً كانت تبذل في محاربة الاتجاهات الشيوعية وكشف حقيقة ولاءاتها. فمن نتائج أحداث أوربا الشرقية أن عدم المبرر لتوجيه الجهود لتوضيح حقيقة الشيوعية. فإذا كان المورد للسلعة قد أوقف إنتاجها ، فالأولى للمستهلك أن يوقف استيرادها ، وإصرار المستهلك على ترويج الشيوعية في ظل هذه الظروف ، لهو استخفاف بالجماهير واستهزاء بها ، وهذا الترويج لن يدوم طويلاً لأنه مخالف لمنطق الأحداث. كذلك انعدمت واجهة استخدمت لمحاربة الإسلام من خلفها ، فالشيوعية ومشتقاتها قد استخدمت كقناع من قبل الرأسمالية لتحجيم استجابة الجماهير للصحوة الإسلامية. وكان على الحـركـة الإسـلامـيـة أن تكرس الجهود لا لنقد الشيوعية كمبدأ فقط ، وإنما لكشف حقيقة ولاء كثير من الاتجاهات أيضاً ، أما الآن فقد سقط القناع وأفلس المبدأ ، ولم يبق إلا العداء السافر للصحوة الإسلامية.
3 - نقص عدد أعداء الإسلام من حملة المبادئ الهدامة والمناهضة له، فإن سقوط الشيوعية لم يواكبه ظهور مبدأ جديد، بل تكريس لـمـبـدأ حالي هو الرأسمالية، فقد انتهت الحرب الباردة والتقى الشرق الشيوعي مع الغرب الرأسمالي ، وليس لهما من ماض مشترك يحنون إليه؛ بل ماضٍ يهربون منه، وكلما جاءت أمة لعنت سابقتها،ومستقبلها يبنى على أنقاض ماضيها.

أما الحركة الإسلامية فلها في ماضيها ما يضيء لها المستقبل ، وفي عقـيـدتهـا ما يرشدها إلى الطريق المستقيم. فهي بذلك لا تنتقل من حال إلى حال ومن نقيض إلى نقيض، فالثبات في العقائد والتطور في المسالك لا يـتـنـاقـضـان، بل يكمل بعضها بعـضـاً، في توازن دقيق، يضمن للأمة الإسلامية ديمومة سلامة العقيدة والفكرة. ففشل الـشـيـوعـيـة إثبات منطقي لصلاحية الإسلام ، دين الله للإنسان. قال تعالى:((يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ)) ((يَا أَيُّهَا الإنسَانُ إنَّكَ كَادِحٌ إلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ)) .
4 - نقص عدد المبادئ التي لا بد أن تخضع للتجارب لإثبات فشلها أمام الشعوب ، أما الإسلام فباق خالد ينتشر أفقياً وعمودياً.
فالأول هو انتشاره في قطاعات الشعب كلها ، والثاني هو تعميق الشرع والفكر الإسلامي في عناصر الحركة الإسلامية. ولتحقيق الأهداف المرجوة وإحداث التغيير المطلوب ، لا بد من محصلة للبعدين متوازنة متوسطة ، وإلا تعثر الركب وانحرف المسار وطال الطريق ، وقد أفلحت الحركة الإسلامية في تحقيق البعد الثاني أكثر من الأول ، إذ الإقناع يحصل من طريقين : طريق قصير ، هو طريق النظر والاستدلال العقلي الـمبني على بصيرة إيمانية ، وآخر طويل ، هو طريق التجربة المبني على المعاناة والممارسة الفعلية. وبشكل عام ، يصلح الأول للأفراد والجماعات ، ويصلح الثاني للشعوب والأمم.
وقد حث القرآن على النظر والتفكر في آيات كثيرة ((قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَذِينَ مِن قَبْلُ)) ((قُلْ إنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ)). أما التجربة والمعاناة ففيها آيات كثيرة أيضاً.((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ)) ((ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) ((أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ ولا هُمْ يَذَّكَّرُونَ))
فعلى الحركة الإسلامية أن تصبر على مشاق الطريق وتبني نفسها بناء سـلـيماً على العقيدة الصافية ، وتتحلى بالصبر الجميل على الشعوب ، بحيث تكون مـؤهـلـة لقيادة الجماهير حين تصحو من غفلتها وتردها رداً جميلاً لعقيدتها وفطرتها ، وتحقق لها السعادتين : سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.
وعلى الحركة الإسلامية، في أثناء تجربة الشعوب والأمم للمبدأ المتبقي ، مبدأ الرأسمالية، واجب مهم. هذا الواجب يتضمن الوعي المبني على العلم والمعرفة بحقيقة الرأسمالية ، مع إمكانية تمييز الغث من السمين ، والصالح من الطالح ، والسلبي من الإيجابي، وحيث يتم ذلك كله من خلال منظور إسلامي مبني على أصول شرعية وحركية ، مستـلـهمة من القرآن وسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ففي الحديث: »خياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام ، إذا فقهوا « وفي قول لعمر: " ينقض الإسلام عـروة

عـروة من نشأ في الإسلام ولم يـعـرف الجاهـلـيـة ". وفي سيرة ابن تيمية مثال يحتذى وأمل يرتجى لـدعـاة الـقـرن العشرين. إذ فقه ابن تيمية عقائد الكفار والضالين والمنحرفين ، ورد كيدهم في نحرهم. ونراه يرد على مقولاتهم بفقه فاق علم أنفسهم بعقائدهم ، وبأسلوب شابه شدة وغلظة عند مخاطبة غلاتهم ورؤسائهم ، وتخلله رفق وحنو عند مخاطبة عامتهم وجهالهم. وتساوى عنده في فقه عقائد الكـفـار مـن روم وفـرس ، وعقائد المدسوسين ممن انتسبوا إلى ملة أهل القبلة من الفرق الضالة. ولعل في سيرة ابن تيمية وغيره من الدعاة السابقين له واللاحقين به ، ما يدعو إلى القول : خيار دعاتنا اليوم ، من فقه الإسلام وعلم عقائد أهل الضلال.

ورواج الشيوعية في بلاد الإسلام لم يكن مثله في أوربا الشرقية ، وفي ذلك مصداق لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين وقف على قبور شهداء أحد بعد سبع سنين : » لست أخاف عليكم بعدي أن تـشـركـوا بالله شيئاً ، ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوها « ويستوقفنا الشطر الثاني من الحديث، لربطه بأحداث الساعة ، فالأحداث وإن أدت إلى سير الصحوة الإسلامية خطوة إلى الأمام، فـهـي قـد أثارت تـحـديـاً أمامها، وذلك بفـعـل الأسباب التالية :

1 -انتقال الصراع من مرحلة العداء في الخفاء إلى مرحلة العداء في العلن. فبعد سقوط أقنعة الشـيـوعـيـة والـبـاطـنـية على المستوى العالمي وفشلها في وقف مد الصحوة الإسلامية التي ظهرت لها آثار إيجابية جهادية تبلورت في أحداث أفغانستان والأرض المحتلة ، شعرت ملة الكفر أن التهديد الـمـتـجـدد من أرض الإسلام يستدعي اتحاد الشرق والغرب وإنهاء الحرب الباردة، ناهيك عن تأثير التيار الوحدوي بين دول أوربا الغربية المتمثل في السوق الأوربـيـة المشتركة على تغيير طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب. فهم جميعاً إذا اكـتـوت مصالحهم بالإسلام، وشـتـى إذا تـضـاربت مصالحهم فيما بينهم. فهي ثلاثة مراكز قوى بدأت بالتبلور على المحيط العالمي، وهي وإن كانت جغرافياً وسياسياً منفصلة، فقد اتفقت جميعها على أمرين : تحقيق الرفاهية الاقتصادية لشعوبها؛ ومعاداة الإسلام .

وعلى الحركة الإسلامية أن تدرك وتعي أبعاد التحدي الجديد. فصراع العلن هـو غـيـر صراع الخفاء. والمجابهة القتالية هي غير المجابهة الفكرية. وصبر على هذا هو دون صبر على ذلك، والعداء الجديد يستدعي أمرين: تكاتف وتعاون الاتجاهات المختلفة في الحركة الإسلامية وتقديم البديل الواعي والقادر على قيادة الأمة الإسلامية إلى بر الأمان .

2 - تحولت طبيعة الصراع العالمي من صراع بين العقائد الضالة إلى صراع بين دنيا وآخرة. فصراع الشرق والغرب كان المحور الذي تدور عليه العلاقات بين دول العالم ، وتوزعت ولاءاتها فيما بين طرفي هذا المحصور. شرق

إلحادي وغرب مادي ، أما الآن فقد فشلت الشيوعية وطالب رئيسها بتطبيق الشيوعية بوجه إنساني. وهل يتم ذلك دون دين؟ وهل من دين يضمن استمرارها وبقاءها غير المسيحية؟ وهكذا ، وقبل لقاء رئيسي العملاقين تم لقاء رئيس الشرق ورمز الغرب الكنسي.
فهي دنيا يسعى إليها هؤلاء من شرق وغرب ، وآخرة تعيش معهم ، عند البعض منهم ، سويعات في كنائس يوم الأحد ، هما عالمان منفصلان دين ودنيا ، ولكن مع تبعية الدين للدنيا ، وارتباط مصلحة الثانية بالأولى ، فها هو الشمال قد اتحد بهدف تحقيق الرفاهية الدنيوية لشعوبه في ظل الدين الكنسي. عبد الدرهم
في كل أحــواله وعبد الكنيسة في بعض حالاته ، فالإنسان هناك يعيش في ظل تصور فاسد وسلوك دون ضابط، وفي ظل خواء روحي ومادية قاتلة، داء معروف ودواء مجهول، بريق يخدع الأنظار ودوامة تحجب القلوب.
فـالـغـزو الحديث للعالم الإسلامي يستهدف إفساد السلوك عوضاً عن إفساد التصـور، إذ فشـلـت شيوعية ملحدة وباطنية منحرفة في إفساد التصور العقدي الإسلامي عند الشعوب المسلمة، وتستهدف الجهود الآن مخاطبة البطون بدلاً من مخاطبة العقول، فـهـي دنـيـا يسعى لتطويعها هؤلاء، وإلهاء شعوبها بها، عن الآخرة، ويتم ذلك التطويع في ظل أساليب حديثة ، تتخطى الحدود السياسية وتتجاوز المسافات الجغرافية المتباعدة ، مجتمع عالمي مفتوح ، فرده إنسان عالمي ، تكنولوجيا المعلومات والتصنيع تجعل نقل الصوت والصورة والخير آنياً وبناء الحضارة المادية متسارعاً ، وليس أمام المسلم ، في ظل هذه الظروف ، إلا البناء السليم للتصور العقيدي والسلوك الإسلامي ، القادر على مقاومة التيار المضاد بالعلم والعمل ، دون انعزال وتقوقع.
وإفساد السلوك ليس كإفساد التصور،بل هو أخطر منه، إذ يخضع للثاني الجاهل بالإسلام دون العالم به،والجاهل والعالم سواء أمام تأثير الأول،إذ يقاوم إفساد السلوك تقوى القلوب ويقاوم إفساد التصور علم العقول.
وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى فـي آيـات كـثـيـرة مـن تقـلـيد تصرفات وسلوك الفرق غير الإسلامية ، مثل قوله تعالى:((ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ)) و((ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَراً)) و((ولا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ))
فها هي الحركة الإسلامية أمام التحدي الجديد، إمـا أن تـرتـفـع بنفـسـهـا إلى مستواه أو تتـحـطـم تحت أمواجه ، وهي في أسلوب عملها ، إما أن تنتقل إلى مرحلة التتحـالـف والتعاون أو تستمر في مرحلة التخالف والوصاية.
ألم يأن للذين يحملون لواء الحركة الإسلامية أن تقدر التحديات التي تهب ريحها من الشمال حق قدرها ، كما قدروا هم التحدي القادم من الجنوب حق

قدره؟ ألم يأن للحركة الإسلامية أن تدرك أن الصراع هو صراع بين أمم وحضارات ، وليس بين أمم وجماعات أو بين جماعات وجماعات ((وقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)) ألم يأن للحركة الإسلامية أن تعتبر بأحداث الماضي في سير الأولين والآخرين .

البابا يدعو الشباب التشادي ليكونوا قساوسة

أمضى البابا جــون بــول الثاني آخر يومين من رحلته بعد أن زار خمس دول أفريقية في تشاد حيث زار مدينتي "ســارة" و "مـاونــدو" الواقعتين في أقصى الجنوب ، ذكرت ذلك صحيفة "الواشنطن بوست" الصادرة يوم 1/ فـبراير 1990م والتي نقلت عنه كذلك دعوته الشباب التشادي للتفرغ للعمل في الكنيسة ومناشدته إياهم أن يصبحوا قساوسة. جاء ذلك في الخطاب الذي ألقاه في اليوم الثاني لـزيــارتـه (الخميس1/2/90م) أمام بضعة آلاف من التشاديين المسيحيين بحضور "ماتياس نجرائـيـري" مـطـران تـشـــاد الوحيد ، ومجموعة القساوسة هناك والبالغ عددهم (189) قسيساً يمثل التشاديون منهم أقل من عشرين بالمائة والبقية أجانب.

ومعلوم أن مسيحيي تشاد تابعون للكنيسة الكاثوليكية الرومانية وهم لا يتجاوزون نسبة 5% من مجموع السكان الذي يربو على الخمسة ملايين كما تصل نسبة المسلمين فيه إلى 60% ، والبقية وثنيون يعيشون غالباً في الجنوب حيث ينتشر ويعمل بينهم هــؤلاء المسيحيون ومن ورائهم الفاتيكان وجمعيات التنصير المختلفة التي فتح أمامها المجال بـعــد دخـول البلاد تحت سيطرة المستعمرين الفرنسيين في العقد الثاني من هذا القرن ، فأفرخت بضعة أحزاب وجـمـعـيـات سـيـاسـيــة كان لها أثر مباشر على تطورات الأمور في تشاد ، كما تربى في مدارسها بعض من قُدِّر لـه أن يـحـكـم الـبـلاد ولسـنـوات طويلة أمثال فرانسوا تومبلباي وفيلكس معلوم.

واليوم وإن لم يعودوا على رأس الحكومة إلا أنه لا زال لهم فيها نفوذ قوي وهم يشكلون نسبة عالية من سكان أكبر مدينتين بعد العاصمة "إنجـامـيـنـا" هـمـــا "سارة" وسكانها 124.000 نسمة ، و "ماوندو" وسكانها 87.000 نسمة ، وتعتبر الأخيرة المنتج الرئيس للقطن الذي يقع على رأس قائمة الصادرات التشادية ، كما أنهم يتلقون دعماً قوياً من الفاتيكان الذي لا يألو جهداً في استغلال حاجة الناس وفقرهم إلى الغذاء والدواء والتعليم في إيجاد وتوفير بيئة مناسبة لنشر المسيحية بينهم.

إن أمام المسلمين في تشاد مراحل طويلة وصعبة لا بد من تجاوزها حتى يتم لهم التمكين لدينهم ، وتخليص بلادهم من الحروب والانقسامات الداخلية ، وإخراجها من أزمتها الاقتصادية المزمنة ، ولذلك فإن الحاجة ماسة لأن يقدم

المسلمون لتشاد وشعبها المسلم دعماً قوياً في كل المجالات؛ اقتصادية وتعليمية أو غيرها ، وأن يساعدوها ويمدوها بالمال والرجال وأن يتعاونوا في ذلك دولاً وشعوباً .

@بريد القراء

الأخ الأمين عبد القادر من أرتيريا أرسـل رسالة يشيد فيها بمستوى المجلة ، ويتمنى لو أننا نهتم بقضية أرتيريا وننشر حولها الـتـحـلـيـلات الـتـي تـعـطـي فكرة للقراء عن هذا الموضوع... ونحن نشكر الأخ على رسالته وثقته بالمجلة ونود أن نشير إلى أننا من المهتمين بقضية أرتيريا اهتمامنا بأي بلد فيه مسلمون موحدون يؤمنون بدعوة:"لا إله إلا الله محمد رسـول الله" وقـد نـشـرنا في العدد 26 من البيان موضوعاً طويلاً عن تطورات الـقـضـيـة الأرتيرية.

***

الأخ عبد الله غالب أحمد - تعز
أرسل يعبر عن إعجابه بمـوضـوعات المجلة وحرصها على سلامة اللغة العربية ، ويسأل عن أقرب طريق للحصول عليها.
البيان : نشكر الأخ عبد الله عـلـى حرصك وحبك للعلم والمجلة توزع في اليمن ويمكنك الاتصال والعنوان موجود في داخل المجلة وإذا أردت الاشتراك المباشر فأرسل لنا قسيمة الاشتراك والمبلغ المطلوب وجزاك الله خيراً.

***

بأقلام القراء

لماذا انهزمنا؟

روت كتب السير أن الفرنجة أعدوا جيشاً عظـيـماً للاستيلاء على الأندلس ، ولكن قبل أن يتحرك هذا الجيش تنكر أحد جواسـيـسـهـم فـي صورة تاجر ، ودخل البلاد لكي يتعرف على أحوال المسلمين، وفي أول خطوة داخل أرض الأندلس الإسلامية التقى هذا الجاسوس المتنكر بصبي مسلم يبكي تحت ظل شجرة ، قال الجاسوس للصبي: لماذا تبكي؟.
فقال الصبي: أبكي لأني رأيت طائرين فوق هذه الشجرة فأردت أن أصيدهما بضربة واحدة غير أن طائراً واحداً سقط بينما طار الآخر ونجا.
فرجع الجاسوس من لحظته إلى قومه ونصحهم بالتريث والانتظار حتى تتبدل أفكار هؤلاء الأطفال لأن قوماً هؤلاء أطفالهم لن يهزموا مهما بلغت قوة أعدائهم،لهذا لا بد من استعمال سلاح أشد فتكاً من سلاح السيوف والرماح ، ألا وهو سلاح النساء ، والغناء ، والملذات ، والشهوات ، ويا للأسف فلقد حدث

هذا فعلاً وبعد سنوات قليلة أصبح الأندلس فردوساً مفقوداً وتحول إلى قصيدة يترنم بها المسلمون وأغنية ونشيداً...
وتتساءل الآن لماذا انهزم المسلمون ، لماذا انهزم ألف مليون مسلم أمام شرذمة من أحفاد القردة والخنازير؟ فخذوها مني صريحة أيها المسلمون !!
والله ما انهزمنا إلا عندما حدنا عن الصراط المستقيم ، والطريق القويم ، الذي أنزله رب العالمين ، والله ما تداعت علينا الأمم وتكالبت علينا الشعوب وتطاول علينا السفهاء إلا عندما غيرنا ما بأنفسنا فغير الله حالنا ، فانتكست قيمنا ، وانعكست مفاهيمنا ، فأصبح إعفاء اللحى تزمتاً؛ وتقصير الثياب تطرفاً؛وتستر النساء تخلفاً؛ والاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام رجعية.
والله ما ذللنا إلا عندما حلت المجلات الخليعة والأغاني الماجنة محل المصاحف ، والله ما هنا إلا عندما غابت شمس خديجة وعائشة وحفصة عن سماء دنيا نسائنا وفتياتنا ، وعلت وجوه تلك الهابطات السافلات من الممثلات والفنانات ، والله ما تقهقرنا وتخلفنا إلا عندما أصبح قدوة الواحد منا مغنٍ ماجن أو لاعب فاشل ، أو ممثل جاهل ، ونسينا أبا بكر وعمر وعثمان وعلّي الذين رفعوا شأن هذه الأمة ، وفجروا بركان التوحيد في أرجاء المعمورة حتى رفرفت راية الإسلام على الشواطئ وقمم الجبال...
فعودة صادقة إلى المنبع الصافي؛ إلى كتاب الله وسنة نبيه ، لينصرنا الله ويغير حالنا من هزيمة وذلة إلى نصر وعزة مصداقاً لقوله تعالى((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)).

أهمية العقيدة والدعوة إليها

أرسل الله سبحانه رسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وجاءوا من عند الله مبشرين ومنذرين متحدين على هدف واحد ويدعون إلى عقيدة واحدة التي هي محور دعوة جميع الرسل من نوح عليه السلام إلى خاتمهم وأفضلهم محمد -صلى الله عليه وسلم- ، الذي بعث رحمة للعالمين ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وسار على نهجهم السلف الصالح ، يستلهمون سر وحدتهم من صفاء العقيدة الخالصة التي لم تشبها شائبة ، فأصبحوا بذلك سادة الدنيا وفتح الله لهم أبواب الخير في كل مكان ورفعوا راية التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها ، لأن الذي بدءوا به هو الأهم قبل المهم ، وانطلاقهم في دعوتهم من تحقيق كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" لأن ذلك هو الأساس الذي أمروا أن يبدءوا به.

قال الله تعالى:((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحَانَ اللَّهِ ومَا أَنَا مِـنَ الـمُـشْرِكِينَ)) وقال تعالى:((واعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)) والعقيدة مهمة جداً لنيل المقصود في الآخرة ، أساس كل عمل وتكفر الذنوب والكبائر إذا صدرت عن إخلاص وقوة إيمان يدل لذلك ما رواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث صاحب البطاقة حيث ينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ، ثم يأتي ببطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات ، وتثقل البطاقة.

فالعقيدة هي رأس الأمر كله والجسد لا يستقيم بلا رأس ، ولكن الأمر اليوم قد تبدل في أهمية العقيدة والدعوة إليها ، فقد يرتكز الداعي إلى أمور لا تستقيم إلا بالعقيدة ، فبعضهم يدعو إلى مكارم الأخلاق أو يدعو إلى السياسة الصحيحة وبعضهم يدعو إلى صفاء النفوس وطهارتها ، لكن لا أهمية لهذه الأمور إن لم يكن الأساس قد وضع لها ، وهي العقيدة الصافية الخالصة من كل شائبة فتراهم يبدءون بالدعوة إلى بعض الفروع ، ويزعمون أنها متى أقيمت فسوف يأتي الأمل تلقائياً..

إن الدعوة الـصـحـيـحة هي التي تقام على ما قامت عليه دعوة السلف الذين جعلوا الدين وحدة متكاملة ينطـلـــق في السياسة والأخلاق وجميع الأمور من العقيدة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، وعـنـد الـهـتـــاف بأن الدعوة لا بد أن تكون على العقيدة لا يعني إهمال الجوانب الأخرى أنما يعني وجوب التأسيس وتكون أعمالنا من منطلق العقيدة.

أم زياد المالكي

قديم جديد

أهمية الزراعة
وخطر الزهو والخيلاء والزينة

علي مبارك (1)

أسباب تأخر الزراعة :

كان لتأخير الزراعة أسباب كثيرة ، وأقـواهــا: تأثـيـر الاحـتـقـار بأهـل الفلاحة ، وعدم الالتفات إليهم ، وترك التبصر في أحوالهم ، وارتكاب ما تضيع به ثمرات الفلاحة ، من تسخير أهلها بالعسف والقهر ، والتعدي عليهم بما يقهقر حالهم ، ويفسد عليهم أعمالهم ، وكالتغالي في الزينة والزهو والإكباب على اللعب واللهو ، خلافاً لما يزعمه أخساء العقول من أن ذلك من لوازم الثروة ، فإن بطلانه لا يخفى على كل ذي بصيرة.

أضرار التفاخر والزينة :

فضرر حب الزهو والفخر كضرر المحاربة، بل أضر، لأن المحاربة، وإن كانت تضر بأرض الزراعة لا تضر بالأمة، وإن أضــرت فـضـررهـا وقـتـي، ومـمــا يؤيد ذلك أنك ترى بعض الجهات وقع فيها محاربات كثيرة وهي الآن أحسن مما كانت قبل الحرب ، لأن الغالب أن الحرب إذا كانت في جهة وأتلفت منها شيئاً زاد عمار الأخرى بقدر ما تلف من الأولى ، وقد ينتبه الجميع بعد انقضائها فيتركون الرفاهية فيعودون إلى أحسن مما كانوا. فعلمنا من ذلك أن الحروب وكذا الأمراض الوبائية ليست السبب في تدمير الأمم أصلاً ، بل السبب في حب الزهو والزينة ليس إلا ، لأنا لو فرضنا أن فرساً واحداً دخل مدينة للخيلاء به ، لا لعمله ، لم تشك أنه يأخذ من ريع تلك المدينة لمؤنته ما يعدل مؤنة أربعة من نوع الإنـســان ، وهذا فــرس واحد ، فما بالك بأفراس؟! أو مـا بالك بـغـيـره مـن الـحـيـوانـات التـي لا فـائـدة فيها إلا النظر لذاتها؛ أو التأمل في ألوانها وهيئاتها؟!

ولا يقال : إن اقـتـنــاء الحيوانات - وإن كثرت مؤنتها-لاضرر فيه ، لما يترتب عليه من تسميد الأرض بروثها ، فتزيد في محصولها بقدر مؤنة الدواب والحيوانات التي بها؛ لأن ذلك إنما يقال في الدواب والحيوانات التي بالقرى وأرض الزراعة ، وأما الحيوانات التي بالمدن فلا ، لأن روثها بها لا قيمة له ، بل قد يصرف عليه دراهم لإخراجه من محله ، مع ما يلزم لذلك من تعطيل أشخاص من أهل الفلاحة لخدمتها وجلب مؤنتها.

معيار الثروة :

وقد توهم بعضهم أن كـثــرة الأمة وقلتها تابع لما يستهلك؛ قلة وكثرة أعني أنه كلما كثر المستهلك كثرت الأمة وكلما قل قلت ، وهذا التوهم لا يسلم به إلا لو اقتصر على ما لا بد منه ، والواقع غير ذلك ، فإنا نرى القليل من الأمة يصرف أضعاف ما يصرفه الكثير منها ، فإذا تأملنا ذلك وجدنا أن معيار الـثـروة وعدمها تابع لكثرة المشتغلين بالزراعة وقلتهم ، فكلما كثروا أخصبوا ، وكلما قلوا أجـدبـــوا ، فأي قوم لم يشتغلوا بأمر الزراعة وتوابعها؛ كانوا وبالاً على الأمة عموماً ، وعلى المـشـتـغـلين بها خصوصاً ، فحينئذ يجب على ولاة الأمر التنبه لذلك ، وحمل أهل البطالة على الـعـمـل ، ولا سيما الشحاذين الذين اتخذوا التكفف صنعة ، فإنهم يتفننون في الحيل ويتعللون بما تسوله لهم أنفسهم من العلل ، فلا يمضي على الواحد منهم زمن قليل إلا وتحصل على جــــــزء من المال. فمثل هؤلاء يجب منعهم وأمرهم بالتكسب لئلا يقتدي بهم من يميل إلى الـبـطـالــة والكسل ، ليستغني بهذه الصنعة الخبيثة عن التكسب بالعمل.

واجب الدولة تجاه الزراعة :

فإذا تمهد هذا علمنا أن فـن الـفــلاحـة والـزراعة هو الأصل ، بل هو أساس ثروة البلاد وعمارها ، وأصل رفاهية أهلها ، فيجب علـى كل حاكم احترام المشتغلين بها والالتفات إليهم كل الالتفات ، ومساعدتهم بأنواع المساعدات ، وتطييب قلوبهم والرأفة بهم ، وإلا كان كمن هدم أساس بيته بفأسه ، لأن مثل كل ملك مع رعيته كمثل شكل هرمي ، الملك كرأسه والرعية كقاعدته وأسه ، ورجال الدولة ما بين ذلك على قدر درجاتهم ، فكما أن كل جزء من أجزاء هذا الشكل حامل لثقل مـا فوقه وهكذا إلى الطبقة السفلى فتكون هي التي عليها ثقل الجميع ، كذلك أرباب الحكومة السياسية على اختلاف درجاتهم كلما فسدت درجة سرى ضررها إلى من دونها وهكذا ، حتى تجتمع جميع المضار على الضعفاء وأهل الفلاحة ، فلو قصر الملك نظره على من يليه من رجال دولته ، وصرف عمن دونهم نظره ، فسد نظامه ، واختلت مملكته وأحكامه ، فكما أنه لا بقاء للشكل إلا بقواعده ، كذلك لا بقاء لملك إلا برعيته ، فإن تنبه الحاكم وأنصـف مـن نفـســه عرف كيف يصون ولايته من الخلل ، بأن يشمل بنظره جميع رعيته ، لا يفرق بين الأجــانب منهم وذوي قرابته ، ولا بين ضعيف مـنـهــم وقوي ، وخص جميع أهل الفلاحة عندئـذ بالـعـنـايــة والالتفات ، لأنهم الحاملون لأثـقـالــه ، القائمون بمصالحه وأعماله ، إذ لولاهم ما كان للملك قوام ولا تم له نــظــام ، وحيث كانت الأرض لا تفيد إلا بقدر ما تستفيد ، لا فرق عندها بين عظيم فـتـكــرمه ولا فقير فتحرمه ، بل إن قام صاحبها بما يجب لها وخدمها انتفع بها وإلا عدمها، وهي على اختلاف أنواعها؛ لا يخلو شيء من أجزائها عن فائدة، حـتـى الــرمــــل الذي لا يصلح للزراعة لو وضع منه شيء في الأرض السبخة، أو البرك المالحة لأصلحها ، وكذلك أخراس(2) الأرض لو نقيت مما فيها وحرثت ، لكانت أصلح من غيرها ، وكذلك الأرض الحجرية يؤخذ منها أحجار للمباني العظيمة ذات الأسوار ، فما من إنسان في أي مكان وتيسرت له أسباب الراحة وانتفت عنه الموانع إلا تيسر له منه أضعاف قوته ، وتحصل على ما لا يتحصل عليه غائص البحر لياقوته ، فلو فرض أن فداناً غرس أشجاراً لا تثمر؛ وترك إلى نحو عشرين سنة لكان فيه من الخشب والفحم ما يقوم بمال عظيم مع أنه لم يلزم له إلا قليل من العمل والعمال ، فما بالك لو غرس أشجاراً ذات ثمر ، فلو فرضنا أن ذلك الفدان بعينه كان في المدة المذكورة ، يزرع حبوباً لكانت فوائده أكثر منها في الحالتين السابقتين ، فعلم من ذلك أن الناس تابعة للزراعة ، كثرة وقلة ، ولو كان ذلك الفدان بعينه في ضاحية من ضواحي المدن قد هيأ له صاحبه محابس لريه ، وغرس فيه أشجاراً ، وأجرى إليه أنهاراً وجعل فيه عروشاً أما كان بذلك يساوي أضعاف مثله من أرض القرى والأرياف؟ وما ذاك إلا لكثرة عماله واحتفاف الناس به ، فهذا دليل على أنه كلما كثرت الناس بأرض زاد

محصولها ، وأن الإنسان لو خلي ونفسه لجعل من الأرض الحجرية بساتين وكروماً.

(...) فلو أحصينا عدد قرية وفرضنا أنـهـم قائمون بخدمة أرضهم حق القيام كان عددهم دائماً فى زيادة ، لأن المـجـمـع عـلـيــه عند أرباب الفلاحة أن الأرض كلما خدمت زاد محصولها ، فـلـيــس محصول المحروث مرة كمحصول المحروث مرتين ، ولا محصول الأرض التي تسقي بماء المطر كالتي تسقى بماء العيون ، ولا محصول الأرض التي سقيت كمحصول الأرض التي لم تسق ، وهذا من محسنات الزراعة.

فـالـفــلاحـــة لا شك أنفع الصنائع ، إذا توفرت أسبابها ، وانتفت الموانع عن أربابها ، خلافاً لقوم ذموها واستقبحوها ، وعدلوا إلى دماء الناس وأموالهم فاستباحوها ، مع علمهم بأن فوائد الفلاحة لا تعدلها فوائد ، وإدرار أرزاقها دائماً متزايد ، وهم الأثينيون وسكان آسيا ، فكانوا يزعمون أن الفلاحة والتجارة مما يوهن القوى البدنية ، ويورث الذل للذرية ، فتركوا الصنائع ولم يلتفتوا لما فيها من الـمـنـافع ، وعدلوا إلى نهب الأموال ، وأسر ما قدروا عليه من نساء ورجال ، وعم ذلك جميع أوربا فأنتج خرابها ، وأفسد العمار الذي كان بها ، وكان المنقطع للفلاحة وقتئذ الأرقاء ، ومن يأوي إليهم من الغرباء ، فارتحلت عنهم حينئذ الفضائل الدثرية (3) ، وقد كانت بقعتهم عين منبعها ومرج مرتعها ، وانظر إلى الرومانيين وما كانوا فيه من الخمول والتوحـش ، فـلـما أفاقوا من خمولهم وتفننوا في الفلاحة علت شهرتهم وقويت شوكتهم ، ثم تقادم بهم الزمــن وأهـمـلـوا أمــر هذا الفن واشـتـغـلوا بالمحاربات فآل أمرهم إلى الخراب ، وضعفت دولتهم وانحطت صولـتـهــم ، وانتهى بـهـم الـحـال إلى أن تقاسم أرضهم المتبربرون. وبالجملة فلم نر جهة أهملت فيها الزراعة إلا حل بأهلها القحط والمجاعة.

مدار الازدهار على الأمن والاستقرار :

إلا أنه بغير العدل لا يتم صلاح ، إذ لولاه ما قدر مصل على صلاته ، ولا عالم على نشر علمه ، ولا تاجر على سفره ، وهو صفة في الذات تقتضي المساواة ، وهذه الصفة أكمل الفضائل، لشمول أثرها، وعموم نفعها، وإليها الإشارة بقوله -صلى الله عليه وسلم- :» "بالعدل قامت السموات والأرض" «.

وتوضيح الكلام يحتاج إلى مقدمة في هذا المقام، ذلك أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وبث فيها من كل دابة، فكان فيما خلق نوع الإنسان، ولعلمه أنه ليس كغيره من سائر الحيوان، أحوج بعضه إلى بعض في ترتيب معاشه ومؤنه وتحصيل ملبسه ومسكنه ، لأنه ليس كسائر الحيوانات التي تحصل بنفسها ما تحتاج إليه من غير صنعة ، بل خلقه ضعيفاً لا يستقل وحده بأمور معاشه.

ثم مست الحاجة بينهم إلى سـائـس عـادل، وملك عالم عامل، يضع فيهم ميزاناً للعدل وقانوناً للسياسة توزن به حركاتهم وتـرجـع إليه معاملاتهم ، وكان مباشرة هذا الأمر من الله تعالى بنفسه من غير واسطة على خـلاف ترتيب المملكة وقانون الحكمة ، فاستخلف عليهم من الآدميين ، خلائف ، وضع في قلوبهم العلم والعدل ليحكموا بهما بين الناس ، حتى يصدر ترتيبهم على قانون مشروع ، وتـجـتـمـع كلمتهم على أمر متبوع ، ولا تتحقق العدالة إلا بعد العلم بأوساط الأمور ، المعبر عنها بالـصـراط المـسـتـقـيم ، ولا تؤثر عدالة الشخص في غيره إلا إن أثرت في نفسه ، إذ التأثير في البعيد قبل الـقـريـب بعيد ، قال تعالى :((أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ)) [البقرة:44] ، فمن عدل في حـكـمـه وكف عن ظلمه نصره الحق وأطاعه الخلق ، وصفت له النعماء ، وأقبلت عليه الدنيا ، فـهـنـئ بالعيش واستغنى عن الجيش ، وملك القلوب وأمن الحروب ، ولم يخلق الله تعالى أحـلـى مذاقاً من العدل ، ولا أمرَّ من الجور ، لأن أس الملكة وأركانها ، وثبات أحوال الأمـة وبنيانها: العدل والإنصاف ، سواء كانت الدولة إسلامية أو غير إسلامية ، فهما قـاعـدة كل مملكة ، وأصل كل سعادة ومكرمة.

الهوامش:

1 - علي بن مبارك (1824-1893): وزير مصري،من المؤرخين العلماء العصاميين النوابغ سـافـر مع بعثة مصرية إلى باريس ، وعاد إلى مصر فـتـقـلـب في الوظائف ، ثم عين ناظراً للأوقاف المصرية ، وأضيفت إليه المعارف ، فأنشأ مدارس كـثـيـرة ، ولـه مـؤلـفـات مـن أشهرها: الخطط التوفيقية في 20 جزءاً ، وقصة سماها (علم الدين) ضمنها مباحث دينية واجتماعية ، ومنها أخذنا هذا البحث.

2 - أخراس الأرض : الأرض البكر التي لم تستعمل سابقاً .

3 - أي الكثيرة.. من "الدثر" - بفتح الدال وسكون الثاء - ومعناه الكثير.

الصفحة الأخيرة\\\\

المطبوعات الإسلامية

عبد القادر حامد

هناك صنفان رئيسيان للمطبوعات الإسلامية : قديم وجديد.

أما القديم ، فمنه ما يتعلق بالنواحي العـقـائـديـة والفقهية البحتة ككتب التفسير والفقه والحديث والأصول ، ومنه ما يتعلق بمعالجة قـضـايـا هي بنت تلك العصور القديمة على ضوء الإسلام ، وكلا النوعين مبذول ولا تشكو المكتبة الإسلامية من قلته.

وأما الجديد: فمنه ما يدخل في الدائرة الأولى من القديم: وهو التفسير ومحاولات تنزيل بعض الأحكام الفقهية على الوقائع المعاصرة، ودراسات تتعلق بالحديث وأصوله ، والدفاع عن حجية الحديث في مجال الإيمان والأحكام ، وهذا أيضاً موجود ولا حَجْر عليه.

ومن الجديد ما يقابل الثاني من القديم وهو مـعـالجـة ومناقشة القضايا المعاصرة على ضوء من الأصول الإسلامية ، وهذا ما تفتقر إليه المكتبة الإسـلامـيــة ، بل تفتقر إليه الأجيال المعاصرة من المسلمين وعلى الرغم من وجود مقدار لا بأس به من الـمطبوعات التي تصدت وتتصدى لهذا المجال؛ لكن العوائق التي تعترض وصولها إلى جمـاهـيــر المسلمين كثيرة ، وأكثر القضايا التي يجب أن يكون للإسلام فيها فكر واضح مقترن بحدوثـهــا لا يصل هذا الــرأي والفكر إلى من يجب أن يصل إليه إلا بعد مرورها وبعد أن تصبح حدثـاً تـاريخـيــاً أعـطـى نـتــائجه وأصبح في ذمة الماضي ، ولهذا السبب يبدو الفكر الإسلامي متأخراً عن معالجة قضايا الساعة.

لكن الذي يـنـبـغي التنبه له هو أن هذا التأخر ليس مبعثه الفكر الإسلامي ، وإنما مبعثه أسباب خارجية ومـعـوقـــات توضع قصداً ، وتبذل في سبيلها أموال طائلة ، وتسخر لها عقول جبارة لتحتكر تقديم وجهة النظر التي إن سمح للإسلام للمشاركة فيها فلا يسمح له إلا بعد أخذ العهود والمواثيق عليه أن يكون ضمن الخط المرسوم!.

تمت بعون الله / والحمد لله
